جامعة النَّجاح الوطنيَّة
كليَّة الدّراسات العليا

استراتيجيات الجماعات اليهوديَّة المناهضة للصّهيونيَّة في مواجهة المشروع الصّهيوني: دراسة لحالة ناطوري كارتا

إِعداد
باسم مصطفى محمد غيث

إشراف
د. عبد الرحيم سليم الشوبكي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2025

استراتيجيات الجماعات اليهوديَّة المناهضة للصّهيونيَّة في مواجهة المشروع الصّهيوني: دراسة لحالة ناطوري كارتا

إِعداد

باسم مصطفى محمد غيث

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2025/08/05م، وأجيزت:

د. عبد الرحيم سليم الشوبكي	
المشرف الرئيسي	**التوقيع**
أ. د. إبراهيم الرفاعي	
الممتحن الخارجي	**التوقيع**
د. رائد نعيرات	
الممتحن الداخلي	**التوقيع**

الإهداء

الى حضرة صاحب المقام الأعظم، رحمة العالمين وسيد الأولين والآخرين، محمد بن عبدالله النبي العربي الأمي الأمين. عليه أزكى الصلاة واتم التسليم.

إلى قدوتي وسندي ومسندي، أعظم الرجال وأنبل الآباء، والدي الطيب؛ حبا وشرفا، وفضلا وعرفانا، وتقديرا وبرا.

إلى موطن الدفء وأصدق الدعوات والقلب الذي اتسع الكون صبرا وأملا، إلى أمي؛ حبا وشرفا، وفضلا وعرفانا، وتقديرا وبرا.

إلى أم الأميرتين، زوجتي ولاء شريكة الحِمل والأمل، والصاحبة في المشوار؛ حبا ووفاء.

إلى أوّل أحلامي وكل أمنياتي، الأميرتين لمار وسبأ ابنتاي؛ حناناً وحباً.

إلى ولي العهد الأمين المؤتمن، الرّضا والأمل والرّجاء، ولدي جهاد؛ فخرا وأملا بعون الله لن يخيب.

إلى كل أفراد عائلتي؛ انتماءً واحتراما وفخرا.

إلى الخالدين في الدين والدنيا، شهداء الحق على كل ثرى فلسطين، ليس أولهم وليس آخرهم ابن عمي حكمت.

إلى الرابضين خلف القضبان ثمنا لحريتنا وكرامتنا، أسرانا البواسل.

إلى غزة المتسامية على الجراح، الى القدس الشامخة العزيزة.

إلى السنديانات العتيقة الواقفة سداً في مخيمات اللجوء.

إلى شعبي العصيّ الأبيّ.

إلى أرض المحيا والممات، فلسطين الوطن والإنسان.

أهدي هذا العمل.

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله ثم الحمدلله حتى يبلغ الحمد منتهاه.

الحمدلله الواحد في الجلال بكمال الجمال تعظيماً وتكبيراً، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديراً وتدبيراً.

الحمد لله أنّ التوفيق من عنده، الحمد لله أنّ الخير من ملكه، الحمد لله أن النجاح من عطائه وفضله وكرمه. الحمد والشكر لله على ما كان وما لم يكن، وله الفضل والمنّة.

ثم الشكر والعرفان بتسلسل الفضل، أستاذي ومشرفي وصديقي ومتمم الجيل بعلمه وعمله، الدكتور عبدالرحيم الشوبكي لتوجيهه ومتابعته وتقييمه وتقويمه.

إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة، أ.د إبراهيم الرفاعي، أستاذ العلوم السياسية في الجامعة تونس المنار على قبوله وتلبية دعوة الجامعة لتحكيم وتقييم الأطروحة كممتحن خارجي، ود. رائد نعيرات أستاذ العلاقات الدولية مدير برنامج التخطيط والتنمية السياسية ممتحنا داخليا، الذي كان له الفضل والأثر تعليما وتوجيها وتصويبا، على تفضلكم بقبول التواجد لتقييم هذا الجهد المتواضع.

الى زملائي وزميلاتي في البرنامج، على دعمهم ومساندتهم دائما.

ثم إلى باعثة الأمل ومنارة العلم ودرة تاج الوطن، وصانعة الأجيال، بيت فلسطين الأكبر، جامعة النجاح الوطنية.

لكم جميعا أسمى آيات الشكر والثناء والعرفان.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

استراتيجيات الجماعات اليهوديَّة المناهضة للصّهيونيَّة في مواجهة المشروع الصّهيوني: دراسة لحالة ناطوري كارتا

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: باكر عبد الله محمد غنيم

التوقيع:

التاريخ: 2025/8/5

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج

الشكر والتقدير..... د

الإقرار ..... ه

فهرس المحتويات..... و

فهرس الجداول ..... ط

الملخَّص..... ي

الفصل الأول: مقدمة الدراسة وخلفيتها النظرية 1

1.1 مقدمة الدراسة 1

1.2 مشكلة الدراسة..... 2

1.3 أسئلة الدراسة..... 3

1.4 فرضيات الدراسة..... 3

1.5 مصطلحات الدراسة 4

1.6 أهمية الدراسة 8

1.7 أهداف الدراسة 9

1.8 حدود الدراسة 10

1.9 الدراسات السابقة 10

1.9.1 الدّراسات السَّابقة التي تناولت الصّهيونيَّة 11

1.9.2 الدّراسات السَّابقة التي تناولت الجماعات اليهوديّة الرافضة للصّهيونيّة 18

1.9.3 الدّراسات السَّابقة التي تناولت جماعة ناطوري كارتا 21

1.10 التّعقيب على الدّراسات السّابقة 24

1.10.1 التَّعقيب على الدّراسات السّابقة حول الصّهيونيّة..... 24

1.10.2 التعقيب على الدّراسات السّابقة حول الجماعات اليهوديّة الرافضة للصهيونيّة 26

1.10.3 التّعقيب على الدّراسات السّابقة حول جماعة ناطوري كارتا 27

1.11 منهج الدراسة 29
الفصل الثَّاني: المدخل النَّظري: الصّهيونيَّة 30
2.1 تمهيد 30
2.1.1 مقاربات حول مفهوم الصّهيونيَّة 30
2.1.2 المسيحيَّة الصّهيونيّة 32
2.1.3 دور مؤتمر بازل 1897 في نشوء الحركة الصّهيونيّة 34
2.1.4 روّاد الصُّهيونيَّة 35
2.1.5 الأُسُس الفكريّة للصّهيونيّة 39
2.1.6 أشكال الصهيونيّة 44
2.1.7 العلاقة الجدليّة بين الصهيونيّة كحركة واليهوديّة كدين 46
2.2 مناهضة الصهيونيّة 51
2.2.1 الجماعات اليهوديّة المناهضة للصهيونيّة السّياسيّة منذ نشوئها حتّى قيام دولة الكيان الإسرائيلي52
2.2.2 الجماعات اليهوديّة المناهضة للصهيونيّة بعد إنشاء (الكيان الإسرائيلي) 57
الفصل الثّالث: المدخل النَّظري لجماعة ناطوري كارتا (حراس المدينة) 62
3.1 تمهيد 62
3.2 المقاربات والدّلالات حول الاسم والمفهوم 62
3.3 تاريخ نشأة الجماعة 63
3.4 الأسس الفكريَّة والدّينيَّة لجماعة ناطوري كارتا 65
3.5 علاقة جماعة ناطوري كارتا مع الصّهيونيّة 68
3.6 أهم رواد جماعة ناطوري كارتا 71
3.7 جماعة (ناطوري كارتا) والقضيَّة الفلسطينيَّة 76
3.7.1 موقف جماعة (ناطوري كارتا) من الشَّعب الفلسطيني واحتلال أرض فلسطين 76
3.7.2 علاقة جماعة (ناطوري كارتا) بالقيادة الفلسطينيَّة 78
3.7.3 موقف جماعة ناطوري كارتا من القدس 81
3.7.4 موقف جماعة ناطوري كارتا من قضية اللاجئين 83

الفصل الرَّابع: استراتيجيات جماعة ناطوري كارتا في مواجهة المشروع الصّهيوني 86

4.1 تمهيد 86

4.2 مفهوم الاستراتيجيَّة عند الجماعة الدّينيَّة..... 86

4.3 استراتيجية جماعة ناطوري كارتا..... 89

4.4 دعم الجماعة للنِّضال الفلسطيني ودورها في تعزيزه، كاستراتيجيَّة من استراتيجيَّات الجماعة ... 92

4.5 التحديات التي تواجه جماعة ناطوري كارتا في التصدّي للمشـــروع الصّـــهيوني ودولـــة الكيـــان الإسرائيلي..... 94

4.5.1 التَّحديات داخل فلسطين المحتلة (الكيان الإسرائيلي) 94

4.5.2 التَّحديات على مستوى التّواجد في دول العالم..... 96

4.5.3 التبعات والآثار الاستراتيجية المحتملة لاستمرار جماعة ناطوري كارتا بمناهضة الصهيونية 101

4.5.4 مستقبل جماعة ناطوري كارتا بين استراتيجيات المواجهة، والتحديات 103

الخاتمة 106

نتائج الدراسة..... 107

توصيات الدراسة..... 110

المراجع العلمية 112

Abstract ..... b

فهرس الجداول

جدول (1) أهم الاستراتيجيات التي تتبناها جماعة ناطوري كارتا وأبرز التحديات التي تواجهها ... 110

استراتيجيات الجماعات اليهوديَّة المناهضة للصّهيونيَّة في مواجهة المشروع الصّهيوني: دراسة لحالة ناطوري كارتا

إعداد

باسم مصطفى محمد غيث

إشراف

د. عبد الرحيم سليم الشوبكي

الملخَّص

تأتي دراسة استراتيجيات الجماعات اليهوديَّة المناهضة للصّهيونيَّة، واتّخاذ جماعة "ناطوري كارتا" كحالة دراسيَّة، في مسعى لمحاولة فهم خلفيات وأبعاد العلاقة بين الصّهيونية والمناهضين لها من الأوساط اليهوديّة، وأهمّ هذه الجماعات منذ نشوء الصّهيونيّة السّياسية حتى الآن، والآثار التي قد تنشأ وتترتّب عليها، وما آلت إليه هذه الجماعات في مراحل زمنيّة لاحقة لتبلور المشروع الصّهيوني.

كما تهدف الدّراسة إلى التعرّف على أهم السياقات الدّينيّة والثقافيّة التي أسّست لموقف المناهضة للصّهيونية لدى جماعة "ناطوري كارتا"، وعوامل نجاح الصّهيونيّة في المُضيّ قُدُمًا في مشروعها وفشل الجماعات المناهضة لها. واستعرضت الدّراسة أهميّة عنصر الدّين وكيفيّة توظيفه لخدمة كلا الطرفين، من خلال القراءة المتباينة والمتناقضة لديهم، كلٌّ في خدمة أفكاره ومشروعه وأهدافه.

وقد تمّ تسخير المناهج التّاريخي، والتّحليلي، ومنهج دراسة الحالة، والمنهج الاستشرافي، كما تمّت الاستعانة بأدوات الوصف وتحليل المضمون، لخدمة الغرض البحثي.

وخَلُصت الدراسة إلى العديد من النتائج التي تعكس أنّ القراءة المتزمّتة لجماعة "ناطوري كارتا" للنّصوص الدّينيّة، ورفضها المساومة عليها، يُشكّلان أهمّ منطلقات الأسس الفكرية لها.

بالإضافة إلى أنّ جُملة الاستراتيجيات التي تتبنّاها الجماعة لتحقيق أهدافها في إسقاط المشروع الصهيوني برمّته، لا زالت تتّسم بالقصور، نظرًا لظروف تتعلق بالدول الداعمة للمشروع الصهيوني، بالإضافة القصور الذي يَشوب أداء الدول الرافضة للصّهيونيّة في استثمار وجود جماعة "ناطوري كارتا" أو سواها من المنظّمات المناهضة للمشروع الصّهيوني.

ناهيك عمّا تتعرّض له الجماعة من مضايقات وتنكيل واعتقال من أجهزة دولة الكيان الإسرائيلي، ومداهمة للمنازل، وتشويه داخل دولة الكيان، وفي أماكن تواجد الجماعة في العالم.

وتُختتم الدراسة ببعض الاستنتاجات والتّوصيات الدّاعية إلى ضرورة إعادة جماعة ناطوري كارتا النظر في خياراتها، ووجوب تطوير هذه الخيارات لتكون قادرة على مواجهة قوة المشروع الصهيوني وداعميه.

كما تُسجّل الدّراسة أنّ على القيادة الفلسطينية، وحكومات الدّول التي ترفض المشروع الصهيوني وتُقرّ بالحق الفلسطيني، إعادة النّظر في كيفيّة التّعاطي مع وجود جماعة "ناطوري كارتا"، وكيفيّة استثمار كونها من صميم المجتمع اليهودي، وذلك في مسعى لتدعيم الموقف الفلسطيني وتعزيز خياراته في مواجهة دولة الاحتلال والدّول الدّاعمة لها.

الكلمات المفتاحية: الصّهيونيّة، المعارضة، مناهضة الصهيونية، ناطوري كارتا، الجماعات والمنظّمات الدّينيّة.

الفصل الأول

مقدمة الدراسة وخلفيتها النظرية

1.1 مقدمة الدراسة

"إنَّ اليهود الذين يريدون الدَّولة اليهوديّة، ستكون لهم. وسوف يتحرَّر العالم بتحررنا، ويغتني بثروتنا، ويعظم بعظمتنا." (Herzl, 1896). هكذا اختتم ثيودور هرتزل (Theodor Herzl) كتابه (دولة اليهود)، معبّرًا عن رؤيته للصهيونيَّة بوصفها فكرة تهدف إلى جمع اليهود في وطن قومي على أسس قومية علمانية، مشيرًا إلى أنَّ تشتت الأمة اليهوديّة لن يحدث مجددًا إلا بانهيار الحضارة العالميّة .(Herzl, 1896)

وفي سياق المفاضلة بين فلسطين والأرجنتين كأرض للوطن القومي، وصف هرتزل (Herzl) فلسطين بأنَّها الوطن التَّاريخي لليهود، قائلًا: "إنَّ اسم فلسطين في حدّ ذاته سيجتذب شعبنا بقوة ذات فعاليَّة رائعة" .(Herzl, 1896)

إلا أنَّ فكرة إقامة دولة يهوديَّة لم تكن قومية علمانية فحسب، بل كانت سياسيَّة وتحمل أبعادا وخلفيات دينية لا يمكن تجاوزها أو إغفالها، إذ استمدت جذورها من مفهوم الخلاص الوارد في أسفار موسى، والذي أعاد الصهاينة تأويله ليصبح مشروعًا علمانيًّا يسعى إلى تحقيق الخلاص من الاضطهاد عبر الاستيطان وتهجير العرب من أراضيهم (المسيري، 2022).

على الرغم من ذلك، واجهت الصّهيونية معارضة شديدة داخل المجتمع اليهودي نفسه، خصوصًا من الجماعات الدّينيَّة المحافظة التي رأت في الصّهيونيَّة خروجًا عن العقيدة والشّريعة اليهودية. ومع تطور الحركة الصّهيونية وتحقيقها أهدافها السياسية، ازداد عداء بعض هذه الجماعات لها، وأبرزها جماعة ناطوري كارتا (حراس المدينة)، التي رفضت بشكل قاطع أي تعامل مع المشروع الصهيوني ومخرجاته، معتبرةً إياه انتهاكًا صارخًا للمعتقدات اليهوديَّة (سعيد، 2017).

وتهدف هذه الدّراسة إلى تحليل استراتيجيات الجماعات اليهوديَّة المناهضة للصّهيونيَّة في مواجهة المشروع الصّهيوني، مع التَّركيز على جماعة "ناطوري كارتا" كنموذج.

وتتناول الدّراسة أبعاد الخلاف الدّيني والسّياسي بين هذه الجماعات والحركة الصّهيونيَّة، كما تستكشف العوامل التي مكّنت الصّهيونيَّة من تحقيق أهدافها مقابل إخفاق المعارضة في التَّصدي لها. إضافةً إلى ذلك، تسعى الدّراسة إلى تقديم توصيات عمليَّة لاستثمار مواقف الجماعات المناهضة للصّهيونية في دعم القضيَّة الفلسطينيَّة.

1.2 مشكلة الدراسة

في ظل التَّداخل المعقد بين الدّين والسّياسة في المشروع الصّهيوني، برزت تيارات يهوديَّة مناهضة لهذا المشروع، من بينها جماعة ناطوري كارتا (حراس المدينة)، التي تتبنى موقفًا رافضًا للصّهيونيَّة بوصفها خروجًا على العقيدة اليهوديَّة. ورغم أنَّ التَّيارات الدّينيَّة المعارضة للصّهيونيَّة كانت فاعلة في مراحلها المبكرة، فإنَّها لم تتمكَّن من منع قيام دولة إسرائيل أو وقف تمدّد المشروع الصّهيوني، ممَّا يطرح تساؤلات جوهريَّة حول أسباب فشلها، واستراتيجياتها في مواجهة الصّهيونيَّة، وإمكانات توظيف مواقفها في دعم القضيَّة الفلسطينيَّة.

بناءً على ما سبق، تتمحور مشكلة الدّراسة حول الإجابة عن التَّساؤل الرَّئيس التَّالي: **ما هي الاستراتيجيات التي تتبعها جماعة "ناطوري كارتا" في معارضتها للصّهيونيَّة، وما الأسس الدّينيَّة والسّياسيَّة والثَّقافيَّة التي تستند إليها في رفضها إقامة دولة إسرائيل؟**

1.3 أسئلة الدراسة

ويتفرّع عن التّساؤل الرَّئيس عدّة أسئلة فرعيّة، منها:

1. ما الخلفيّات الثّقافيّة والسّياسيّة والدّينيّة التي شكّلت مواقف الجماعات اليهوديّة المناهضة للصّهيونيّة، وخاصّة جماعة "ناطوري كارتا"؟
2. كيف تفسّر جماعة "ناطوري كارتا" النّصوص الدّينيّة اليهوديّة لدعم موقفها المعارض؟
3. ما موقف جماعة "ناطوري كارتا" من الرّواية الصّهيونيّة حول إنشاء دولة إسرائيل؟
4. لماذا لم تتمكّن الجماعات اليهوديّة المناهضة للصّهيونيّة من منع قيام دولة إسرائيل، وتحقيق المشروع الصّهيوني رغم استنادها إلى النّصوص الدّينيّة اليهوديّة في معارضتها؟
5. كيف نجحت الحركة الصّهيونيّة في استقطاب بعض الجماعات اليهوديّة المعارضة لها أثناء سعيها لتأسيس دولة إسرائيل؟
6. كيف يمكن توظيف مواقف الجماعات اليهوديّة المعارضة للصّهيونيّة، مثل "ناطوري كارتا"، في دعم القضيّة الفلسطينيّة؟ وما الآليّات الممكنة لتفعيل دورها سياسيًّا وإعلاميًّا؟

1.4 فرضيات الدراسة

تفترض هذه الدّراسة أنَّ مواقف جماعة ناطوري كارتا تجاه الصّهيونيّة وتطورها من الفكرة إلى الحركة إلى المشروع، ناتجة عن تفسير دينيّ صارم للشّريعة اليهوديّة، إذ ترى الجماعة أنَّ إقامة دولة إسرائيل يتناقض مع المفاهيم الدّينيّة الأساسيّة لليهوديّة، باعتبارها اعتداءً على الشّريعة اليهوديّة التي تمنع إقامة دولة يهوديّة قبل ظهور الماشيح المخلّص.

كما تفترض الدّراسة أن الاستراتيجيّات السّياسيّة والدّينيّة التي تتّبعها جماعة "ناطوري كارتا" تسهم في مقاومة الصّهيونيّة على المستوى الدّاخليّ، من خلال تبنّي استراتيجيّة المقاطعة والعداء التّام للدّولة الصّهيونيّة ومؤسّساتها وسياستها وقوانينها. ومع ذلك، لا تزال هذه الجماعة تواجه صعوبات كبيرة في

التّأثير على المجتمع اليهوديّ والتّيّارات السّياسيّة والدّينيّة الكبرى، وذلك بسبب الدّعم الدّوليّ الكبير للصّهيونيّة منذ نشأتها حتى قيام دولة إسرائيل واستمرار هذا الدّعم إلى يومنا هذا. ومن بين الأسباب الأخرى هيمنة التّكتّلات السّياسيّة والاقتصاديّة المؤيّدة للصّهيونيّة داخل المجتمع اليهوديّ.

وتفترض الدّراسة كذلك أن مواقف الجماعات اليهوديّة المناهضة للصّهيونيّة، مثل "ناطوري كارتا"، يمكن أن تسهم في دعم القضيّة الفلسطينيّة إذا تم استثمار هذه المواقف سياسيًّا وإعلاميًّا، مع التّركيز على إبراز البُعد الدّينيّ في النّقد الموجّه للصّهيونيّة.

1.5 مصطلحات الدراسة

الجماعة السّياسيَّة

التَّعريف لغويًا: يأتي اسم الجماعة من الجَمْعِ، "وهو: ضمُّ الشَّيءِ بتقريبِ بعضِه من بعضٍ"، ويعني أيضًا: "العديد من النّاس والشّجر والنّبات". (دياني، 2017)

التَّعريف اصطلاحًا: الجَمَاعةُ (اصطلاحًا): طائفةٌ من النَّاس يَجْمعُها غرضٌ واحدٌ. (دياني، 2017).

وفي إطار تعريف مفهوم (الجماعة السياسية)، يُعتبر آرثر بنتلي (Arthur Bentley) أوّل من أدخل اقتراب الجماعة إلى نطاق التَّحليل السّياسي ودراسة النّظم السّياسيَّة، وذلك في مطلع القرن العشرين عندما أصدر مُؤلفًا بعنوان "العمل الحكومي" ركَّز فيه على دور الجماعات في الحياة السياسيَّة. إلا أنَّ تطور الاقتراب كإطار تحليلي نظري لم يتحقق إلا مع المدرسة السّلوكيَّة. بدأ هذا التّطور مع جهود كلٍّ من إيريل لاثام (Earl Latham)، وشارلز هاجن (Charles Hagan)، وجابريل الموند (Gabriel Almond)، ومانكور أولسن (Mancur Olson)، وكذلك مع إسهامات كلٍّ من جوزيف لابالومبارا (Joseph Laplombara)، ومايرون فينر (Mayron Weiner)، وفريد ريجز (Fred Riggs)، وبذلك ازدادت القدرة النّظريَّة والتَّحليليَّة للاقتراب تطورًا ووضوحًا. **فالجماعة السّياسيَّة** تعني: تجمعات الأفراد الذين يتفاعلون معًا من أجل تحقيق أهداف سياسية مشتركة (المرعشي، 2017).

الجماعات الدّينيَّة: الطائفة، أو الفرق، أو الأمة الذين يرتبطون بمنهج واحد وهدف واحد ولم يتفرقوا في الاعتقاد والسّلوك (أرشيف ملتقى أهل الحديث، 2010).

المنظّمات السّياسيَّة: أشير في "معجم المعاني الجامع" على الـرابط (https://2u.pw/3eLIRm9U) حول تعريف (المنظمة) لغة واصطلاحا، بمايلي:

التَّعريف لغويًّا: المنظَّمة اسم مستمد من الفعل "**نظم**"، فنقول نَظَمَ الأَشياءَ: أي "أَلَّفها وضمَّ بعضها إلى بعض".

التَّعريف اصطلاحًا: المنظَّمة السّياسيَّة: "هَيْئَةٌ مُكَوَّنَةٌ، لَهَا أَهْدَافٌ مُحَدَّدَةٌ وَقَانُونٌ يَرْسُمُ أَعْمَالَهَا، وَمَبَادِئُ تَعْمَلُ عَلَى تَحْقِيقِهَا فِي مَجَالِ اهْتِمَامِهَا، فِي السِّيَاسَةِ أَوِ النَّقَابَةِ أَوِ الثَّقَافَةِ".

وتعرّف أيضًا أنَّها "مجموعة من النَّاس ذَوِي الاتِّجَاهِ الوَاحِدِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْبَرَامِجِ وَالْمَبَادِئِ السِّيَاسِيَّةِ، وَيَرْتَبِطُونَ بِبَعْضِهِمْ وَفْقًا لِقَوَاعِدِ تَنظِيمِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ مِنْ جَانِبِهِمْ تُحَدِّدُ عَلاَقَاتِهِمْ وَأَسْلُوبَهُمْ وَوَسَائِلَهُمْ فِي الْعَمَلِ وَالنَّشَاطِ".

المنظَّمات الدّينيَّة. هي كيانات اجتماعية منظّمة تقوم على أساس العقيدة الدينية، وتسعى إلى تحقيق أهداف دينية وروحية واجتماعية من خلال أنشطة منظمة ومؤسسية. وتمثل هذه المنظمات أحد الفواعل غير الحكومية ذات التأثير في الحياة العامة، وقد تتراوح بين مؤسسات دعوية، خيرية، تعليمية، أو حتى ذات طابع سياسي (حنفي، 2001).

المعارضة: التَّعريف لغويًّا: المعارضة: "اسم، مصدره عارَضَ، ويعني الاحْتِجَاجُ، الْمُخَالَفَةُ، الْمُمَانَعَةُ". **التَّعريف اصطلاحًا:** "نَقْضُ الرَّأْيِ وَمُحَاوَلَةُ الْمَنَعِ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيحٍ وَلَا تَشْهِيرٍ" (ناصر، 2022).

المعارضة السياسيَّة: "مناوأة القوى السّياسيَّة من أفراد وأحزاب أو هيئات للحكومة أو للنّظام السّياسي القائم أو لبرنامج سياسي" (ناصر، 2022).

ويعرّف روبرت دال (Robert A. Dahl) المعارضة تعريفًا بسيطًا، فمثلًا (أ) هو الطرف الذي يمارس السّلطة ويقرّر سياسة الدَّولة و(ب) هو الطرف الذي لا يقرّر سياسة الحكومة فإنَّ (ب) في هذا الاصطلاح هو المقصود بالمعارضة. بالإضافة إلى ذلك، يعتبر جين بلوندل (Jean Blondel) أنَّ المعارضة "مفهوم 'تابع'.... وهذا يعني أن طابع المعارضة مرتبط بطابع الحكومة، وبالتَّالي إنَّ فكرة المعارضة، إذا جاز التَّعبير، هي التَّشويش على أفكار الحكومة، والحكم، والسلطة". (...) ومع ذلك، فإنَّ الاعتراف بوجود اعتماد للمعارضة على الحكومة لا يعني أنَّه لا ينبغي النَّظر في الاختلافات في أنواع وأشكال المعارضة. يمكن الفهم من تعريفه أنَّ المعارضة مرتبطة بوجود الحكومة. يقول (سربست مصطفى رشيد أميدي) حول المعارضة السّياسيَّة: "هي قوى وهيئات تعبر عن آراء ومصالح فئات اجتماعيَّة، لها أهداف ومشاريع وخطط تختلف عن أهداف وخطط السّلطة السّياسيَّة القائمة، وهي قد لا تمتلك الأدوات والآليات ذاتها التي تمتلكها السلطة في تنفيذ خططها وبرامجها، فللمعارضة وسائلها الخاصة في الوقوف بمواجهة السّلطات الحاكمة والوصول إلى تحقيق أهدافها". ويقصد بهذا التَّعريف أنَّ المعارضة السّياسيَّة تقابل السّلطة السّياسيَّة من حيث أهدافها ومشاريعها. كما يذكر (محمد كنعان) أنَّ "مصطلح 'المعارضة" مشتق من الكلمة اللاتينية (Oppositus) التي تعني العرقلة أو الوقوف في وجه الحكومة، وقد أصبحت المعارضة في أيامنا عنصرًا أساسيًا في أيّ نظام ديمقراطي". (ناصر، 2022)

المعارضة الدّينيَّة: تقدّم هذه الأطروحة التَّعريف الإجرائي التَّالي لمفهوم المعارضة الدّينيَّة: "هي كلّ ممانعة أو مخالفة في الآراء يكون مبعثها ديني، سواء في النّصوص أو التّفسير أو المواقف، ويبنى عليها محاولة لعرقلة التّقدم في مسار معين استنادًا إلى الأسس الدّينية أو العقائديَّة".

ويأتي هذا التَّعريف استنادًا إلى الأصل اللغوي لكلمة معارضة، والتَّعريفات الاصطلاحيَّة للمفهوم. ويتحدد نطاق المعارضة الدينية سواء كانت شاملة أو جزئية، من خلال ضبط وتحديد مدى ومجال التباينات التي يُعزى الخلاف فيها إلى المنطلقات والأسس الدينية، سواء النصوص الصريحة أو

التفسيرات أو التأويلات، إلا أنها تبقى داخل مجتمع الديانة ذاتها وليس عليها وعلى صدقيتها من حيث المبدأ. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أهمية التمييز بين المعارضة الدينية ومعارضة الدين، حيث أن معارضة الدين مصطلح ومفهوم مختلف تماما عن المعارضة الدينية، وله أطر تختلف اختلافا كليا عنها وهو ذات دلالة مرتبطة برفض فكرة الدين ذاته وليس رفضا أو اختلافا على نصوصه أو تفسيراته.

وفي سياقها الفلسفي، تبرز المعارضة الدينية كأحد أوجه التطور الإنساني المرتبط بمصالح أفراده وجماعاته، وليست فكرة أصيلة مرتبطة بالدين ورسالته من الداخل.

الصّهيونيَّة: يعتبر مفهوم الصّهيونيَّة من أكثر المفاهيم التي تناولها الباحثون في الفكر السّياسي المرتبط بدراسة اليهود منذ بداية تداول واستخدام هذا المصطلح في القرن السادس عشر.

التعريف لغويًا: الصُّهيونيَّة في اللغة: "نسبة إلى جبل قرب أورشليم يُسمَّى: صِهْيَوْن". (مصطفى و الزيات ، 2004)

وورد أيضًا "نسبةً إلى جبلٍ قرب القدس يُسمَّى صِهْيُونَ". (أبو العزم، 2019).

أما عن أصل تسمية صهيون، فهي: هذا الاسم المشتق من المادَّة اللغوية السَّاميَّة العامة (صَوَى)، وهي تدل على الصوت، فيقال للنَّخلة حين يجف جذعها ويحركها الهواء (صَوَت النخلةُ) أي أصدرت صوتًا. وحسب رواية العهد القديم إن صحت، اتّخذ داود من الجبل مقرًا لحكم المدينة، بعد تغلّبه على اليبوسيين واحتل قلعتهم على الجبل، ولارتباط داود بالتّرانيم الموسيقيَّة التي أفاضت به إلى ما عُرف (بالمزامير)، ارتبط الاسم بموسيقى مزامير داود، ولمكانته عند اليهود كملك مهم في تاريخهم إن صحَّت رواياتهم، اتَّخذوا من اسم الجبل المرتبط عبثًا بالملك داود، مصطلحًا سياسيًّا يخرجهم من قيود اليهوديَّة كدين، إلى السّياسة الرَّحبة كنهج ونظام (عمرو، 2023).

التّعريف اصطلاحًا: الصُّهيونيَّة: "حركة القوميَّة اليهوديَّة، وعودة اليهود إلى أرض الأجداد. إلا أنَّ هـذا التَّعريف ضعيف في قدرته التَّفسيريَّة للمفهوم، لذلك تمَّ إعادة صياغة المفهوم الأساسـي لنطلـق عليـه (الصّيغة الصّهيونيَّة الأساسيَّة الشاملة) وهي تقدّم الصّهيونيَّة على أنَّها حركة أقرَّت بأنَّ الشَّعب اليهودي هو شعب منبوذ غير نافع ويجب نقله إلى أي بقعة خارج أوروبا، على أن يتم توظيفه لخدمـة مصـالح العالم الغربي، مقابل أن يحظى بالدَّعم والرّعاية، وقد تمَّ اعتماد فلسطين لتكون البقعة المنشـودة بسـبب أهميّتها الاستراتيجيَّة للحضارة الغربيَّة والدّينيّة لليهود". (المسيري، 2022) وتعرّف الصّـهيونية أيضًـا على أنَّها "حركة استعماريَّة تعتبر إفرازًا من إفرازات الحضارة الغربيَّة في عصر النَّهضة وامتدادًا لها، وعملت على إقامة دولة اليهود في فلسطين عن طريق الاستيطان المباشر". (تقي الدين، 2018)

1.6 أهمية الدراسة

تنطلق أهميّة هذه الدّراسة من اعتبارات علميّة وعمليّة تجعلها إضافة نوعيّة للمجال البحثيّ.

فالأهميّة النّظريّة، تتمثّل في تناول الدّراسة جانبًا مهمًّا يحتاج إلى مزيد من البحث، وهو العلاقة الجدليّة بين الجماعات اليهوديّة المناهضة للصّهيونيّة والحركة الصّهيونيّة ذاتها. إذ تكشف الدّراسة الأبعاد الدّينيّة والسّياسيّة والثّقافيّة لهذا الخلاف، وتوضّح أن الصّهيونيّة ليست مجرّد حركة تسعى لتخليص اليهود مـن الاضطهاد، وإنّما مشروع سياسيّ علمانيّ يتماهى مع المصالح الاستراتيجيّة للقوى الكبرى في المنطقـة العربيّة والشّرق الأوسط.

أمّا من حيث الأهميَّة العلميَّة: تسهم الدّراسة في إثراء المكتبة العربيّة من خلال توفير مرجـع شـامل للباحثين والمهتمّين بهذا الموضوع، ممّا يعزّز فهم الدّيناميكيّات الدّاخليّة للمجتمـع اليهـوديّ وعلاقتـه بالصّهيونيّة.

كما توفّر الدّراسة أداة مفيدة لصنّاع القرار في الدّول والكيانات المناهضة للصّـهيونيّة، حيـث يمكـن توظيف مواقف الجماعات اليهوديّة المعارضة للصّهيونيّة، مثل "ناطوري كارتا"، لدعم الرّواية المناهضة

للصّهيونيّة في المحافل الدّوليّة. كما تتيح إمكانيّة تعزيز الحجج السّياسيّة والدّبلوماسيّة من خلال تسليط الضّوء على تناقض المشروع الصّهيونيّ مع التّراث اليهوديّ الدّينيّ. ويمكن أن تسهم هذه المقاربة في دعم جهود استعادة الحقوق الفلسطينيّة والعربيّة، عبر إبراز المعارضة اليهوديّة الدّاخليّة للصّهيونيّة كعامل يعزّز الرّواية الفلسطينيّة دوليًّا.

1.7 أهداف الدراسة

تسعى هذه الدّراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تساهم في فهم موقف جماعة "ناطوري كارتا" من الحركة الصّهيونيَّة، وتسليط الضَّوء على أبعاد الخلاف والعداء بينهما، بالإضافة إلى دراسة العوامل التي ساعدت الصّهيونيَّة في تحقيق أهدافها. وتتمثل الأهداف في الآتي:

1. تحليل السّياقات الثَّقافيَّة والسّياسيَّة والدّينية التي شكلَّت مواقف الجماعات اليهوديَّة المناهضة للصّهيونيَّة، مع التَّركيز على جماعة "ناطوري كارتا".
2. دراسة كيفيَّة تفسير "ناطوري كارتا" النّصوص الدّينيَّة اليهوديَّة لدعم موقفها.
3. مقارنة المعتقدات الدّينيَّة لجماعة "ناطوري كارتا" مع الفكر الصُّهيوني للكشف عن الفروقات والاختلافات الجوهريَّة بينهما.
4. استكشاف أسباب فشل الجماعات المناهضة للصُّهيونيَّة في منع الحركة الصُّهيونيَّة من تنفيذ رؤيتها، رغم مخالفتها للعقيدة والشّرائع اليهوديَّة.
5. تحليل العوامل التي ساعدت الحركة الصّهيونية على النّجاح في تأسيس دولة إسرائيل واستقطاب جماعات معارضة.
6. تقديم توصيات عمليَّة حول كيفيَّة استثمار مواقف الجماعات اليهوديَّة المناهضة للصّهيونيَّة لدعم القضيَّة الفلسطينيَّة وتعزيز الحجج المناهضة للصّهيونية على المستوى الدّولي.

1.8 حدود الدراسة

تمتد حدود الدّراسة الزّمانيَّة منذ ظهور الحركات المناهضة للفكر الصّهيوني، والذي تزامن مع الـدّعوة لانعقاد مؤتمر بازل عام 1897، الذي يُعتبر نقطة البداية لتبلور الفكرة الصّهيونيَّة كمشـروع سياسـي عالمي، وحتى نهاية عام 2024، حيث تشمل هذه الفترة المراحل المختلفة لتطور التَّيـارات المناهضـة للحركة الصّهيونيَّة، مع تسليط الضّوء على نشأة جماعة ناطوري كارتا.

وتغطي الدّراسة في حدودها المكانيَّة أماكن تواجد جماعة ناطوري كارتا في العالم، لا سـيما المنـاطق التي شهدت تأثيرات وانعكاسات بارزة للصّهيونيَّة. وتركّـز الحـدود المكانيَّـة علـى دولـة الكيـان الإسرائيلي/فلسطين التّاريخيَّة؛ بوصفها المكان الذي يشهد النّزاع المباشر بين الصّهيونيَّة ومناهضـيها، ونيويورك في الولايات المتّحدة الأمريكيَّة؛ باعتبارها محور تواجد أساسيّ لجماعـة نـاطوري كارتـا ومركزًا مهمًا لدعم الصّهيونيَّة والمعارضة لها.

1.9 الدراسات السابقة

يمكن تقسيم الدّراسات السَّابقة فيما يتعلَّق بموضوع الدّراسة إلى ثلاث محاور أساسيَّة، تتدرج وتتنقل من العام إلى الخاص وهي؛

المحور الأوَّل: دراسات تناولت الإطار النّظريِّ والفكريِّ للحركة الصّهيونية.

المحور الثَّاني: دراسات حول الجماعات اليهوديَّة المعارضة للحركة الصّهيونيَّة دينيًّا وسياسيًّا.

المحور الثَّالث: دراسات تناولت جماعة "ناطوري كارتا".

1.9.1 الدّراسات السَّابقة التي تناولت الصّهيونيَّة

دراسة بعنوان "موجز تاريخ الصّهيونيَّة"، وتمثّل هذه الدّراسة استعراضًا لتسلسل ظهور الصّهيونيّة وتاريخ نشوئها. وقد خلُصَت الدّراسة إلى أنَّ الصّهيونيَّة مرَّت في مراحل أساسيَّة استنادًا إلى ثلاثة ركائز أساسيَّة، تمثّل السّاحة والخلفيَّة والمجموعة البشرية المراد نقلها. حيث يرى الكاتب أنَّ الصّهيونيَّة في تكوينها الأوَّل ارتبطت بحالة الانقلاب التّجاري في أوروبا، حيث بدأ التّجار يسيطرون على الاقتصاد الزّراعي الإقطاعي، وأخذ التّجار يلعبون دورًا في توجيه السّياسات الحكوميَّة، وبناءً عليه فقد توسعت حركة الاكتشافات الجغرافيَّة، وهي حركة استعماريَّة استيطانيَّة.

وبعد أن أصبحت إنجلترا أقوى إمبراطورية استعماريَّة، ظهرت حركة الإصلاح الدّيني التي غيَّرت مفهوم العلاقة بين الإنسان وخالق السماء، حيث أصبح في إطار هذا المفهوم بإمكان الفرد تحقيق الخلاص لنفسه بنفسه دون الحاجة إلى رجال دين، وصار لزامًا عليه تفسير الكتاب المقدس بنفسه. وفي هذه المرحلة لم يعد اليهود في أوروبا أكثر من كونهم جماعات وظيفية.

أمَّا الصّهيونية بمفهومها الحديث فلم يكن لها وجود، إنّما كانت ذات طابع نصراني بروتستانتي يتعامل مع اليهود على أنَّهم أدوات يمكن استخدامها لخدمة مصالح البروتستانت.

ثمَّ ينتقل الكاتب إلى مرحلة الصّهيونيَّة العلمانيَّة التي تمثّل تكاثر رؤوس الأموال وهيمنة مطلقة على معظم أوروبا، وبدأت الطّبقات البرجوازيَّة تطالب بنصيب من الحكم، وصولًا إلى الثَّورة الصّناعيَّة. ومع ترحيب إنجلترا بهذه الثّورة ودخولها مرحلة الاستعمار وتحولها إلى قوة عظمى في العالم، وتطوّر المشروع الاستعماري الإنجليزي الذي يخدم نتائج الثَّورة الصّناعيَّة، بدأت الصّهيونيَّة تظهر بصورة علمانيَّة تارة ودينيَّة تارة أخرى.

وبعد توقيع مؤتمر لندن عام 1840 والتَّحالف بين دول أوروبا، بدأت الفكرة الصّهيونيَّة تنتشر في الأوساط غير اليهوديَّة كما تحوَّلت من فكرة إلى مشروع استعماري بالتّزامن مع ظهور فكرة تقسيم

الدّولة العثمانيَّة، حيث إنَّ هذه الفكرة تحقّق لأوروبا مصالح استراتيجيَّة متمثّلة في التَّخلص من اليهـــود، والحصول على أطماعهم في الشّرق.

وهنا بدأت تطفو فكرة نقل اليهود إلى فلسطين، وتوصف هذه المرحلة بالصّـــهيونية التّوطينيَّـــة، وأهـــم روادها أوف شافتسبري (Earl of Shaftesbury) ولورانس أوليفانت (Laurence Oliphant).

ويرى الكاتب أنَّ الصّهيونيَّة كحركة سياسيَّة بين أفراد اليهود تنقسم إلى مراحل أساسيَّة، تبدأ بصهيونيَّة الأثرياء المندمجين في المجتمعات الأوروبيَّة، التي ظهرت بفعل هجرة يهود شرق أوروبا إلى غربهـــا، والذي أدّى إلى تشابك يهود الغرب المندمجين في مجتمعاتهم والوافدين اليديشيين.

ولحل هذه المعضلة، ظهرت لدى يهود الغرب الأوروبي فكرة توطين اليهـــود بـــالتزامن مـــع تعـــاظم الإمبرياليَّة الإنجليزيَّة خاصة، والأوروبيَّة بشكل عام.

وامتدّ هذا التَّفكير حتى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، حيث ظهرت في هذين العقدين أيضًـــا ما يعرف بالصّهيونيَّة التّسلليَّة، وهي في الواقع عملية استيطان فعلي للمادةّ البشريَّة المستهدفة (اليهـــود) في أرض غير أوروبا لخدمة المصالح الأوروبيَّة الإمبرياليَّة.

ويختتم الكاتب هذه المراحل مع نهاية القرن التاسع عشر بظهور هرتزل الملقَّب بصهيون، وهو الـــذي ينتمي إلى صفوف يهود الغرب الأوروبي، ورأى أنَّ الطَّريقة الوحيدة للتّخلص من يهود الشّـــرق هـــو التّحرك في إطار إمبريالي غربي يخدم مصالح أوروبا الاســـتراتيجيَّة فـــي إطـــار يجعـــل المشـــروع الصّهيوني مصلحة أوروبيَّة يجب تنفيذه وحمايته ودعمه ورعايته.

وقد استطاع هرتزل بصفته يهوديًّا من داخل المجتمع اليهودي أن يصوّر الفكرة الصّهيونيَّة على أنَّهـــا فكرة يهوديَّة، وهذا ما تمَّ تحقيقه في مؤتمر (بازل) 1897 عندما أصبحت الفكرة الصّهيونيَّة مشـــروعًا قائمًا يمثّل التقاء مصالح مختلفة، وتمَّ تغليفه في إطار الدّيانة اليهوديَّة من أجـــل تمريـــره لـــدى المـــادّة

البشريَّة المستهدفة. ويختم الكاتب رؤيته بالقول إنَّه، رغم نجاح الحركة الصّهيونيَّة في إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين ونجاحها في استغلال مجمل الظروف العالميَّة في تلك الفترة، مثل خسارة ألمانيا، وتعاظم قوة ونفوذ إنجلترا، وعجز العرب عن إيجاد بديل قوي للدّولة العثمانيَّة، وضعف الحركات العربيَّة القوميَّة في تعبئة الجماهير فكريًّا وثقافيًّا وتنظيمهم، فقد كان إنشاء دولة الكيان الإسرائيلي ونجاح الحركة الصّهيونية في تحقيق أهدافها محصّلة منطقيَّة لزخم الدّعم الأوروبي، ولاحقًا الدّعم الأمريكي، حيث بدأ مركز المعسكر الإمبريالي ينتقل من لندن إلى واشنطن، وهذا الأمر لا يزال قائمًا حتى الآن.

وفقًا لما أورده الكاتب، فإنَّ الصّهيونيَّة في الوقت الحاضر– كفكرة ومؤسّسات ودولة– تواجه كارثة حقيقيَّة تتمثَّل في إحجام يهود العالم عن الهجرة إلى إسرائيل، بالإضافة إلى ما أصاب صورة المستوطن الصّهيوني من دمار إعلامي منذ الانتفاضة الفلسطينيَّة الأولى، حيث أصبح من غير الممكن الدّفاع عن الدَّولة أو تبرير أفعالها. أضف إلى ذلك الأزمات الدَّاخليَّة التي تعصف بالمجتمع الصّهيوني، مثل الهروب من الخدمة العسكريَّة، حتى أصبح الدّخول إلى إسرائيل مرهونًا بالمصالح الماديَّة البحتة. (علي، 2024)

دراسة بعنوان (التَّطهير العرقي في فلسطين). تستعرض الدّراسة بروز الصّهيونيَّة في أواخر الثَّمانينيات من القرن التاسع عشر في وسط وشرق أوروبا كحركة إحياء قومي، بدافع من الضّغط المتنامي على اليهود في هذين الإقليمين؛ ليختاروا بين الاندماج الكامل أو استمرار تعرّضهم للاضطهاد. ومع ذلك، وكما هو معلوم، فإنَّ الاندماج الكامل لم يكن ضمانة ضد الإبادة، كما في حالة ألمانيا النازيَّة.

مع بداية القرن العشرين، ربط معظم قادة الحركة الصّهيونيَّة هذا الإحياء القومي باستعمار فلسطين، رغم أنَّ بعضهم وخاصة مؤسس الحركة ثيودور هرتزل (Theodor Herzl)، كان أقلّ حسمًا في هذا الصدد، إلا أنَّه بعد وفاته، أصبح التَّوجه نحو فلسطين ثابتًا ومتفقًا عليه.

لقد كانت أرض إسرائيل في الدّيانة اليهوديَّة محط احترام وتبجيل على مرّ القرون من جانب أجيال اليهود، باعتبارها قبلة حج مقدَّسة، ولم تكن في أذهانهم قط مكانًا لدولة علمانيَّة مستقبليَّة. فالتّراث والدّين اليهوديان يأمران اليهود بانتظار مجيء المسيح المنتظر في نهاية الزَّمان، قبل أن يتمكَّنوا من العودة إلى هذه الأرض كشعب يتمتَّع بالسّيادة في دولة دينيَّة يهوديَّة، خدمًا مطيعين للرّب. ولهذا السَّبب، عارضت عدّة تيارات في اليهوديَّة الأرثوذكسيَّة المتعصّبة الصّهيونيَّة، بل اتّخذت موقفًا معاديًا لها، حيث رأت أنَّها حوَّلت اليهوديَّة إلى قوميَّة علمانيَّة.

ومن أجل تحقيق مشروعهم، طالب المفكرون الصّهاينة بالأرض التّوراتيَّة، واستحضروها أو بالأحرى اخترعوها، لتكون مهدًا لحركتهم القوميَّة الجديدة، ما جعل الصّهيونيَّة مزيجًا من أيديولوجيا قوميَّة وممارسة استعمارية استراتيجيَّة لقوى أوروبا.

ورغم مناقشة العديد من القادة الفلسطينيين، في مرحلة مبكرة، للصّهيونيَّة وخطرها المتمثّل في الرَّغبة بشراء الأراضي والأملاك في فلسطين، فإنَّهم لم يدركوا حجم القوة الكامنة وراءها، والتي اشتملت على عناصر إضافيَّة جعلت منها مشروعًا بالغ الخطورة، أبرزها الاندفاعيَّة الأوروبيَّة التَّبشيريَّة والاستعماريَّة.

وفعلًا ليس ثمَّة غموض في فهم أنَّ الصّهاينة كانوا يسعون إلى إنشاء دولة يهوديَّة في فلسطين للنَّجاة من تاريخ حافل بالاضطهاد والمذابح في الغرب، مستحضرين ما تشتمل عليه الدّيانة اليهوديَّة من إنقاذ "الوطن القديم" كوسيلة لتحقيق هدفهم.

هذه كانت الرّواية الرّسميَّة للصهيونيَّة، ولا شك في أنَّها عبّرت بصدق عن دوافع معظم قادتها. إلا أنَّ النَّظرة الأكثر انتقادًا اليوم ترى أنَّ الدّافع الصّهيوني إلى الاستيطان في فلسطين، بدلاً من أي مكان آخر، كان متداخلًا بشكل وثيق مع الإيمان المسيحي بالعصر الألفي السعيد الذي كان شائعًا في القرن التّاسع عشر، ومع التّوجه الاستعماري الأوروبي.

فالجمعيات التَّبشيريَّة البروتستانتيَّة والحكومات الأوروبيَّة كانت تتنافس فيما بينها بشأن مستقبل فلسطين "المسيحيَّة"، التي أرادت انتزاعها من الإمبراطوريَّة العثمانيَّة. أما الأكثر تديناً بين هؤلاء الطامحين في الغرب، فقد نظروا إلى عودة اليهود إلى فلسطين باعتبارها فصلًا في الخطة الإلهيَّة، من شأنه أن يعجّل بالمجيء الثَّاني للمسيح، ويؤدي إلى إنشاء دولة دينيَّة قائمة على التّقوى هناك.

هذه الحماسة الدّينية ألهمت سياسيين متدينين، مثل ديفيد لويد جورج (David Lloyd George) رئيس الحكومة البريطانية خلال الحرب العالميَّة الأولى، الذي عمل بجدٍّ من أجل إنجاح المشروع الصّهيوني. غير أنَّ ذلك لم يمنعه من تزويد حكومته، في الوقت ذاته، باعتبارات استراتيجية- لا مسيانية- تبرّر استعمار الصّهاينة لفلسطين. وقد كانت هذه الاعتبارات مشبعة بعدم الثقة والاحتقار الشّديدين اللذين كان يكنّهما للعرب، أو "المحمديين" كما كان يطلق عليهم (Pappe,2011).

دراسة "اليهود واليهوديَّة والصّهيونيَّة". تناولت هذه الدّراسة الصّهيونيَّة بتفصيل كبير من حيث دلالات المفهوم والمصطلح عبر تاريخ تداول مصطلح الصّهيونيَّة. وقد استغرق الكاتب رحلة طويلة من البحث والدّراسة حول كلّ المراحل التي استُخدم فيها هذا المصطلح، وتداخل الدّلالات، وتطور المفهوم والوصف المحيط به، بدءًا من الأصول الدّينيَّة وانتهاءً بكونه مصطلحًا ذا طابع وبعد دلالي سياسي قائم على العنصريَّة في أساسه.

ويتناول الكاتب كيفيَّة انتقال هذا المصطلح من كونه يدل على أنَّ اليهود ليسوا جزءًا من التَّشكيل الحضاري الغربي إلى أن يصبح، بمعناه السّياسي، مصلحة استراتيجيَّة للدّول والقوى ذاتها التي لجأت لاستخدامه بالمعنى السَّابق.

وقد أسهب الكاتب في تفصيلات الصّهيونيَّة وتفرعات المفاهيم الاصطلاحيَّة التي تعكس دلالات معيّنة، مثل: الصّهيونيَّة الجغرافيَّة، والصّهيونيَّة التّسلليَّة، وصهيونيَّة الأغيار أو صهيونية غير اليهود، والصّهيونيَّة السّياسيَّة. لكن المصطلح، رغم تشعباته وتفرعاته واستخداماته ودلالاته، يحافظ على ثوابت

دائمة في وصفه وفهمه وتفسيره، إذ نجد الإرادة الأوروبيَّة بالتَّخلص من اليهود كونهم جماعة وظيفيَّة وتشكيلًا غير عضوي في المكون الحضاري الأوروبي، لا سيما بعد علمنة المجتمع الأوروبي والتّغيرات الجذريَّة التي حصلت في موازين القوى فيه، وتحوّلها من الكنيسة ورجال الدّين لصالح الاقتصاد والنَّظرية الرَّأسماليَّة والثّورة الصّناعيَّة ورؤوس الأموال.

وهنا يرى الكاتب أنَّ مفهوم الصّهيونيَّة أصبح ركيزة أساسيَّة في الخطاب السّياسي الأوروبي، مع نجاح أوروبا في بلورة مشروعها الاستعماري ضد العالم العربي والإسلامي، وتحقيق أوّل إنجاز لهذا المشروع بالقضاء على مشروع محمد علي في تحديث مصر والدَّولة العثمانيَّة.

كما أشار الكاتب إلى أنَّ دراسة الصّهيونيَّة تأتي في سياق الفكر السّياسي والعسكري، والتَّطور الفكري الغربي بشكل عام، وليس في سياق دراسة العهد القديم، أو ما يسمى بالعهد القديم، وعليه فإنَّ الجزء الأكبر من تاريخ الصّهيونيَّة يرتبط بغير اليهود.

وقد أوضح الكاتب أنَّ كلَّ المراحل التي مرَّت بها توصيفات مفهوم الصّهيونيَّة إنَّما تعبّر عن نظرة الغرب لليهود في كلّ مرحلة من تاريخ أوروبا منذ القرن السّادس عشر وحتى نهايات القرن التاسع عشر، حيث بدأت الصّهيونيَّة تأخذ منحى آخر بعد المؤتمر الصّهيوني الأوَّل عام 1897. ويوضّح الكاتب أنَّ الصّهيونيَّة بعد المؤتمر الأوَّل أخذت تسير بوتيرة متسارعة نحو الصّهيونيَّة الأساسيَّة الشّاملة، التي تسعى إلى علمنة المعتقد اليهودي، بحيث لا يكون خلاص الشّعب اليهودي مرهونًا بانتظار الأمر الإلهي، بل يحتاج إلى جهد بشري من العنصر اليهودي نفسه.

وبذلك، عمل رواد هذه الفكرة على ما يسمى بالصّهيونيَّة الأساسيَّة الشاملة المهوَّدة، والتي استطاع روادها استقطاب معظم الحركات اليهوديَّة الدّينيَّة التي كانت ترفض الصّهيونيَّة، ممَّا مكّن الصّهيونيَّة من ترجمة الفكرة الغربية الأولى القائمة على منطق الخلاص من اليهود كعنصر منبوذ، وإخراجهم من

أوروبا، وتحويلهم إلى عنصر وظيفي يخدم المصالح الأوروبيَّة تحت غطاء الدّيانة اليهوديَّة نفسها، التي تتناقض مع الصّهيونيَّة فكرًا ونهجًا (المسيري، 2022).

أمَّا **دراسة "الصَّهيونيَّة: "ملخَّص تاريخها وامتدادها حتى سنة 1905"**، فقد تناولت نشوء الصّهيونيَّة الحديثة ونموّها، ولاحقًا نجاحها. وفقًا للدّراسة، فإنَّ العوامل التي أثَّرت في ظهور الصّهيونيَّة الحديثة يمكن حصرها في ظهور الأنتيسيمتزم (Antisemitism) أو معاداة اليهود، وقيام شعور قوي لدى اليهود بضرورة تأسيس اتحاد يهودي يعمل على استعادة فلسطين لليهود.

وتناول الكاتب سلسلة من الأحداث التي عزَّزت هذا الشّعور لدى اليهود، مثل محاولة إيرلندا التَّحرر من إنجلترا، وسعي الصّرب، البلغاريين، وأهالي رومانيا لنيل الحريَّة. ويرى الكاتب أنَّ هذا الشّعور أخذ بالنّمو بشكل كبير في أوروبا الشَّرقيَّة. وقد قال المؤرخ اليهودي سلفادور (Joseph Salvador)، إنَّ مؤتمرًا أوروبيًّا يمكن أن يعيد فلسطين لليهود، وهو ما أيَّدته مؤسسة الاتحاد الإسرائيلي عندما بدأوا الاستعمار في فلسطين تحت إدارة ألبرت كون (Albert Cohn) وشارلز نتر (Charles Netter).

وقد أعقبت ذلك دعوات تحثّ على استعادة اليهود لقوميتهم، وأخذت هذه الأفكار في التَّطور والتَّنامي بشكل ملحوظ، وأصبح لها منظرون ورواد مثل: موريتس شتاينشنايدر(Moritz Steinschneider) ، وبرثلمي (Barthelemy)، لوتزتو(Luzztto) ، وهنري دونانت (Henry Dunant)، وغيرهم ممَّن حاولوا بطرق عديدة التَّرويج لهذه الأفكار في مختلف الأوساط.

وبعض هؤلاء كان من الدّعاة الأقدمين لعودة اليهود إلى فلسطين، مثل: داود دوب غوردون (David Dubnow)، زيفي هرش غاليشر (Zvi Hirsch Kalischer)، اليشع غوتمافر (Elieser Gutmann)، موسى هس (Moses Hess)، وهنريخ غراتس (Heinrich Graetz). كما أنَّ بعضهم وضع كتابات أو مؤلفات أصبحت أساسًا في تجديد اليهوديَّة. ويرى الكاتب أنَّ كلَّ ما سبق ساهم في

تصاعد النّزعة العنصريَّة لدى اليهود، وزاد من التَّنظير القومي الدّاعي لتحرير الأمة اليهوديَّة واستعادة الأرض المقدَّسة.

وقد تشكَّلت جمعيات عديدة في روسيا، وألمانيا، وفرنسا، وإنجلترا، وأمريكا، لتعزيز الاستيطان اليهودي في فلسطين، وساعد في نجاح هذه الحركة تنامي الأنتيسيمتزم في أوروبا.

واختتم الكاتب دراسته بمرحلة هرتزل، الذي بدأ ينظر إلى الصّهيونيَّة باعتبارها طريق الخلاص للشَّعب اليهودي، وبذل كلَّ جهده لمواجهة التَّيارات الدّينيَّة اليهوديَّة التي كانت تقف ضده بحجة أنَّ الخلاص يجب أن يكون بأمر إلهي، لا بجهد بشري. ونجح هرتزل في علمنة العديد من هذه التَّيارات، وساقها باتجاه فكرته الصّهيونيَّة، وقد دعمه وساعده في ذلك نخبة من رجال الإعلام والعلم والأدب (نصار، 1911).

1.9.2 الدّراسات السَّابقة التي تناولت الجماعات اليهوديّة الرافضة للصّهيونيّة

تناولت الدّراسة المعنونة بـ "**الحركات الدّينيّة الرافضة للصهيونيّة داخل إسرائيل**"، أنَّ الحركة الصّهيونيَّة منذ الإعلان الرسميّ عن وجودها في مؤتمر (بازل) 1897، واجهتْ رفضًا قويًّا وكبيرًا من عديد التيّارات اليهوديّة التي رأتْ في هذه الحركة مخالفةً صريحةً لتعاليم التوراة وتناقضًا صارخًا مع العقيدة اليهوديّة. كما أنَّ إعلان هرتزل عن تصوّراته لوجود دولة يهوديّة تجمع يهود الشتات إنّما يشكّل تهديدًا للمعتقدات والثوابت اليهوديّة، وأنّ هذه الدعوة تمثّل كفرًا وهرطقةً، وقد تكون سببًا في إشعال الفتنة بين اليهود وغير اليهود، أو داخل الطائفة اليهوديّة نفسها.

وتزايدتْ حدّة الرّفض عند بدء التحرّك لتطبيق الأفكار الصهيونيّة، وأخذ الرّفض، الذي صار يتشكّل جماعيًّا، يصدر عن المنظّمات والهيئات اليهوديّة مثل هيئة الحاخامين الألمان، التي أصدرتْ بيانًا تحتجّ فيه على هذه الحركة حتى قبل عقد المؤتمر الصهيونيّ الأوّل، وكانتْ سببًا في نقله من ميونخ إلى بازل

في سويسرا. كما تمّ عقد مؤتمر في عام 1897، أطلق عليه مؤتمر مونتريال، أدان الحركة الصهيونيّة ورغباتها وأفكارها.

وفي بريطانيا، اتّخذتْ المنظّمتان الرّئيسيتان لليهود: مجلس مندوبي اليهود البريطانيين والهيئة اليهوديّة البريطانيّة، نفس الموقف الرّافض للصهيونيّة فكرًا ونهجًا. وتوالت المواقف الرّافضة والمعادية للصهيونيّة من اللّجنة اليهوديّة الأمريكيّة، وتأسّس في بولندا، مجلس كبار علماء التوراة، الذي رفض الصهيونيّة واعتبرها خروجًا على الدّين اليهوديّ. وكذلك كانتْ كلّ المواقف ترى في الصهيونيّة خروجًا على التوراة وعقيدة الخلاص اليهوديّ، المنوطة دينيًّا بمشيئة الرّبّ (تقي الدين، 2018).

أمّا الدّراسة المعنونة بـ "**فلسطين أرض الرّسالات السّماويّة**"، فقد أمعنتْ بحثًا في شكل العلاقة العدائيّة بين الصهيونيّة ومعارضتها الدينيّة. حيث رأى الكاتب أنّ الصهيونيّة قامتْ بقراءة ضيّقة ومتعصّبة للتوراة، واستخدمتْها لتغطية النّزعة القوميّة والاستعمار الصهيونيّ لدى هرتزل ودولة إسرائيل فيما بعد بمزاعم دينيّة.

وقد عبّر اليهود عن معارضتهم الشّديدة لفكر ونهج الصهيونيّة باعتبارها خيانةً للعقيدة النبويّة اليهوديّة. واستعرض جارودي سلسلةً من المواقف اليهوديّة في هذا السّياق، مثل الحاخام مايير وايز (MayerWise)، وهو أكبر شخصيّة يهوديّة في الأمريكيتين، حيث دعا إلى عقد مؤتمر مونتريال.

كما استعرض الكاتب مواقف العديد من المنظّمات اليهوديّة في أوروبا، مثل جمعيّة الاستيطان اليهوديّة في لندن، والتحالف الإسرائيليّ العالميّ في فرنسا وفرعه في النمسا، وجمعيّة المكابيّين، وهم فئة اليهود المثقّفين في لندن، وكلّها كان موقفها من الصهيونيّة وفكرة إقامة دولة يهوديّة موقفًا حازمًا بالرّفض والإدانة والاستنكار. وخلصت الدراسة إلى أنّ مواقف الجماعات اليهوديّة الرّافضة للصهيونيّة كان مبعثها أنّ اليهود الذين كانوا يريدون أن يظلّوا أوفياء لرسالة دينهم العالميّة، والذين صارعوا في

تاريخهم للخلاص من التفرقة، لم يروا في الصهيونيّة إلّا خيانةً للمثل الأعلى وتنكّـرًا لأسـمى التّقاليـد الرّوحيّة اليهوديّة .((Garaudy, 1998)

وفي دراسة "**دوّامة الدّين والدّولة في إسرائيل**"، يرى الكاتب أنّ الصهيونيّة هوجمتْ وبشدّة منذ بـدايتها من قبل جماعات وأفراد؛ لأنّها وضعتْ نصب أعينها إحلال فكرة القوميّة عاملًا موحّـدًا لليهـود أينمـا كانوا، بدلًا من التزام وتنفيذ الفرائض والتعاليم التوراتيّة والدينيّة التي كانتْ تميّز اليهود عن باقي الأمم.

وبالتّالي فإنّ الصهيونيّة تدفع اليهود للتخلّي عن الواجبات والتعاليم الدينيّة، التي يأتي انتظار مشيئة الرّبّ لتحقيق الخلاص اليهوديّ للعالم في مقدّمتها، وبالتّالي فإنّ الصهيونيّة تقتلع أسس الدّيانة اليهوديّـة بفعـل مغامرة تهدّد بتدمير الدّين.

ويقول الكاتب إنّ كلّ التيّارات والجماعات المناهضة للصهيونيّة بلورتْ موقفها من الصـهيونيّة علـى أساس أنّ هذه الحركة تتدخّل في شؤون السّماء، وأنّ جمع الشّتات اليهوديّ هو من بشائر قدوم المسيا أو الماشيح الذي سيقيم مملكة إسرائيل من جديد، وإنّ من يتمسّك بالتوراة وبالوصايا، لا يمكن أن يقبـل أن يكون الخلاص اليهوديّ بالتدخّل البشريّ؛ لأنّ ذلك سلوكٌ يناقض عقيدة قيام إسرائيل.

وتقول الدراسة إنّ هذه المواقف كانت الدافع لتشكيل حزب أغودات إسرائيل من أجل توحيـد التيّـارات الدينيّة المناهضة للصهيونيّة.

ويشير الكاتب في هذه الدراسة إلى أنّه وبالرغم من أنّ جزءًا كبيرًا من مناهضي الصهيونيّة، جماعـات وأفرادًا، قد تبدّلتْ مواقفهم من العداء المطلق للفكرة والمنهج والتّطبيق، وأصبحتْ ليّنةً إلى حدّ انخـراط جزء كبير منها في خضمّ المؤسّسات والعمليّة السّياسيّة في إسرائيل، وبدأ هذا التحوّل منذ وعد بلفـور، ثمّ مشروع لجنة بيل لتقسيم فلسطين، ثمّ إقامة دولة إسرائيل، وتفسيرهم ذلك بأنّه من علامـات العنايـة الإلهيّة، إلّا أنّ معظم هذه الجماعات لا تسقط صفة القداسة على إسرائيل الدولـة، وجـزءٌ مـن هـذه الجماعات يعترف واقعيًّا بالدّولة لكنّه لا يعطيها صفةً شرعيّةً دينيّةً (بشارة، 1990).

1.9.3 الدّراسات السَّابقة التي تناولت جماعة ناطوري كارتا

في دراسة "ناطوري كارتا: الدّور والتَّأثير على المشروع الصّهيوني"، ترى الكاتبة أنَّ موقف حركة أغودات إسرائيل، التي بدأت كقوة يهوديَّة معادية للصّهيونيَّة، بدأ بالتَّراجع منذ صدور وعد بلفور عام 1917. لكن الانشقاق الذي أدَّى إلى تشكيل جماعة ناطوري كارتا حدث في ثلاثينيات القرن العشرين، عندما بدأت أغودات إسرائيل بدعم الهجرة إلى فلسطين والدّخول في مفاوضات مع الجهات الصّهيونية.

وقد عارضت ناطوري كارتا قيام دولة إسرائيل، معتبرة أنَّ ذلك يتعارض مع المشيئة الإلهية التي تنصُّ على عدم إحياء دولة يهوديَّة إلا بقدوم الماشيح. وعليه فقد تبنَّت الجماعة موقفًا داعيًّا إلى إعادة الأراضي الفلسطينيَّة المحتلة إلى أصحابها الفلسطينيين، ورفضت الاعتراف بإسرائيل أو التَّعامل مع أي من مؤسَّساتها.

وتؤكّد الدّراسة أنَّ ناطوري كارتا ترى في الصُّهيونيَّة حركة معاديَّة لليهود، إذ تزدهر عبر تقويض أوضاع اليهود في أنحاء العالم لدفعهم للهجرة إلى إسرائيل. وتستند الجماعة إلى الأدب الحاخامي، الذي ينصُّ على أنَّ اليهود طردوا من أرض إسرائيل بسبب خطاياهم، وإلى التَّلمود البابلي، الذي يحرّم استرداد الأرض بالقوة. كما تستشهد الجماعة بكتاب عنوانه: يسمح موشيه او متفق عليه من قبل موسى (Vayoel Moshe) للحاخام موشيه تيتليوم (*Joel Teitelbaum*)، الذي وصف الصّهيونيين بأنَّهم أكثر شرًا من النازيين؛ لأنَهم يخفون كراهيتهم لليهود بينما يبدون العكس. (سعيد، 2017)

في دراسة بعنوان "ناطوري كارتا"، يقول الكاتب إنَّ ناطوري كارتا، التي تعني حرّاس المدينة باللغة الآراميَّة، هي حركة صغيرة نسبيًّا تنتمي إلى فئة الحريديم المناهضين للصّهيونيَّة. وهي مجموعة من اليهود الأرثوذكس المتشدّدين. ورغم أنَّ الاعتقاد الدّيني بعودة اليهود إلى صهيون يعدّ ركيزة أساسيَّة في الفكر اليهودي، إلا أنَّ معظم اليهود المتدينين عارضوا الحركة الصّهيونيَّة منذ نشأتها في القرن التاسع

عشر. واعتبروا أنَّ عودة اليهود يجب أن تتمّ بتدخل إلهي وليس بجهد بشري، إذ يرون أنَّ محاولة تحقيق ذلك بفرض النّهاية للشتات اليهودي، تمثّل خطيئة دينيَّة.

وقد تأسَّست ناطوري كارتا في القدس عام 1935، وسط أجواء دينيَّة مناهضة للصّهيونية. وتعارض الحركة وجود إسرائيل بشدّة، ممَّا جعلها مثار جدل دائم، خصوصًا لدعمها أطرافًا مثل منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة. كما أثارت الجدل بسبب تعاونها مع الرَّئيس الإيراني السَّابق محمود أحمدي نجاد، المعروف بإنكاره للمحرقة، ومع لويس فراخان (Louis Farrakhan)، زعيم حركة أمَّة الإسلام، ذات الجذور الأفريقيَّة الأمريكيَّة الذي واجه اتّهامات بمعاداة السَّاميَّة. ورغم اعتبار آراء ناطوري كارتا هامشيَّة، فإنَّها توفّر نظرة مهمَّة حول الفكر اليهودي المتعلّق بالمشيحانيَّة وتأثيره على السّياسة اليهوديّة. (Shah, 2021)

دراسة بعنوان "الفكر السياسي لجماعة ناطوري كارتا"، تقول الدّراسة إنَّ نشوء الحركة جاء معبرًا عن رفض الصّهيونيَّة وحتى التَّعامل معها بأي شكل. حيث كانت الجماعة جزءًا من حركة أغودات إسرائيل، وقد انشقت ناطوري كارتا عنها بعد أن أخذت بالتجاوب مع الحركة الصّهيونيَّة والتَّخلي عن المبادئ الرافضة لها. وبالتَّالي، فإنَّ الجماعة ترفض أي علاقة غير العداء مع الصّهيونيَّة.

وتقول الكاتبة إن ناطوري كارتا، التي يبلغ عدد المنتمين إليها أكثر من نصف مليون يهودي خارج إسرائيل، وبضعة آلاف داخلها، يعيشون في حيّ خاص بهم في مدينة القدس هو حي مائة شعاريم، داخل بيوت تشبه بيوت العصور الوسطى وفي حياة تقشف شديدة، ويرفضون التَّعامل مع أيّ من مؤسّسات دولة الكيان الإسرائيلي، ويسمح لهم بإنشاء مدارس ومستشفيات خاصة بهم. وهم يرون أنفسهم امتدادًا للتّراث اليهودي والتَّقاليد اليهوديَّة الحقيقية، وتلتزم الجماعة بالتَّعاليم الدّينيَّة اليهوديَّة دون باقي التّيارات والفرق والجماعات اليهوديَّة الأخرى.

ترى الجماعة أنَّ اليهود ليسوا شعبًا بالمعنى الذي قدّمته الصّهيونيَّة، إنَّما هم جماعة دينيّة تستمد وجودها من ميثاق مع خالقها وهم شعب الله المختار من أجل خدمة الجنس البشري كلّه وليس السيطرة على

العالم. ولا تزال ناطوري كارتا في حالة عداء كبير مع دولة إسرائيل، ولذلك يعاني أعضاؤها من تضييق شديد وتهميش دائم.

من النَّاحيَّة الشَّرعيَّة، فإنَّ الجماعة تخضع لتوجيهات المجلس الأعلى لجماعة حراس المدينة، والذي يتكوّن من سبعة أشخاص. كما أنَّ ناطوري كارتا منفتحة لقبول أيّ يهودي يرغب بالانضمام إليها بشرط الالتزام بعقيدتها ومبادئها الثابتة إزاء عدم التَّعامل بأيّ شكل مع دولة الكيان الإسرائيلي أو أي من مؤسّساتها.

كما تشير الكاتبة إلى موقف الجماعة الثَّابت تجاه الشَّعب الفلسطيني الذي يقضي بضرورة إنهاء احتلال الأراضي الفلسطينيَّة بأي شكل وإزالة دولة إسرائيل. (مهدي، 2012)

وفي دراسة بعنوان "القوى الدّينيّة في إسرائيل بين تكفير الدَّولة ولعبة السّياسة"، يقول الكاتب إنَّ ظهور جماعة ناطوري كارتا كجماعة دينية جاء إثر انشقاق عن منظمة أغودات إسرائيل، عندما قام ممثلون عن هذه المنظَّمة، التي كانت تمثّل المعسكر المعادي للصّهيونيَّة، بإجراء مفاوضات مع المجلس الملي اليهودي الذي كان يخضع للحركة الصّهيونيَّة، من أجل إقامة حاخاميَّة موحدة في فلسطين، وإجراء مفاوضات أخرى مع حزب المزراحي الصّهيوني لإيجاد صيغة للعمل المشترك معه.

ورغم أنَّ المفاوضات لم تسفر عن نتائج تذكر، إلا أنَّ مجرد إجرائها كان مؤشراً على بدء انخراط أغودات إسرائيل في فكر ومبادئ وأهداف الحركة الصّهيونيَّة. وكان ذلك كافيًا لحدوث الانشقاق عنها، وفقًا لرؤية مجموعة الحاخامات الذين كانوا يصرون على رفض أي تعاون أو لقاء مع الحركة الصّهيونيَّة. وعلى رأس هؤلاء الحاخامات، الحاخام آهرون كتسنلبويجن (Aharon Katsnelnboygen) والحاخام ليبل فايسبيش (Leibel Weissfish) والحاخام عمرام بلوى (Amram Blau)، الذين قاموا بتشكيل حركة جديدة أطلقوا عليها أغودات مسميريت هكوديش (رابطة

الحراسة المقدّسة)، ثم أغودات هحيم (رابطة الحياة)، وأخيرًا ناطوري كارتا، وهو الاسم الـذي أطلقـه الحاخام إلياهو بروش (Eliyahu Brach) وظل مرتبطًا بها حتى اليوم.

ويشير الكاتب إلى وجود عدّة جماعات تحمل نفس الاسم، وكل منها تدعي أنَّها الحركة الأصـليَّة تبعًـا للحاخام الذي أسَّسها. ويشوب العلاقة بين بعض هذه الجماعات حالة من الكراهية أحيانًـا، كـون كـل واحدة تسعى لتكون هي الجماعة الأم. إلا أنَّ أتباع كل الجماعات يلتقون ويجمعون على ذات المبـادئ والمعتقدات تجاه الحركة الصّهيونيَّة ومشروعها ونتائجه وكل ما ترتب عليه، ويصـل حـدّ مناهضـتها لدولة الكيان الإسرائيلي إلى عدم استخدام التوقيت السائد فيها، مرورًا بقوانينها وأموالهـا، وانتخاباتهـا، وصحافتها، وكل مؤسساتها وما يتعلق بها، وحتى لغتها.

ووفقًا للكاتب، فإنَّ العمق الأيديولوجي ومكانة كلّ جماعة دينية يهودية يقاس بمدى بعدها عن الصّهيونيّة التي انتهكت العهود الثلاثة التي قطعها اليهود للرب. وفيما يتعلَّق بالقضيَّة الفلسطينيَّة، فقد أيدت الجماعة إعلان منظَّمة التّحرير الفلسطينية قيام دولة فلسطينية عام 1988، لكنّها رفضت اعتراف المنظّمة بدولة الكيان الإسرائيلي، ورفضوا في هذا السياق حتى اعتدال رئيس المنظمة ياسر عرفات. كما أنَّ الجماعـة أعلنت تأييد المقاومة الفلسطينيَّة المسلّحة ضد دولة الكيان في أكثر من موقف وتصريح، ولـم تتوقـف الحركة عن معارضة كلّ ما تقرّه دولة الكيان الإسرائيلي في مختلف القضايا، وتأييد كل مـا ترفضـه الدولة ومؤسساتها وأحزابها وحلفائها. (الشامي، 1994)

1.10 التّعقيب على الدّراسات السّابقة

1.10.1 التَّعقيب على الدّراسات السّابقة حول الصّهيونيّة

إنّ هذه الأطروحة، بما تناولته من دراسات مستفيضة حول الصّهيونيّة ونشـأتها وأصـل المصـطلح، وتوصيفات وتعريفات المفهوم، واستخدامات وتوظيف الصّهيونيّة وتفرعاتها، والظروف المحيطة بكـل فرع وكل مرحلة زمنيّة للاستخدام والتّوظيف منذ الظهور وحتى بلورة شكل ومضمون نهائي نتج عنـه

تحريف صريح للمعتقدات اليهوديّة واستخدامها لخدمة أهداف تناقض أصل العقيدة، إنما تبرهن علـــى أنَّ الدّول الأوروبيَّة، ولاحقًا الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، قامت بتسخير ظروف اليهود فـــي أوروبـــا بعـــد الثورة الصّناعيَّة لصالح مصالحها الاستراتيجيَّة في الدّول العربيَّة والإسلاميّة، التي كانت ســـابقًا جـــزءًا من الدولة العثمانيّة.

ويأتي هذا النَّهج بعد أن فشلت كلّ المحاولات الغربيَّة للسيطرة على جزء من أراضي الدّولة العثمانيَّـــة عن طريق ترغيب السلاطين العثمانيين ومحاولات استرضائهم نظير الموافقة على استيطان اليهود فـــي فلسطين. كما تشير الدّراسات إلى أنَّ الدّول الأوروبيَّة عملت علـــى توظيـــف العنصـــريَّة فـــي الفكـــر الصهيوني لتوجيه نتائج الصّهيونيَّة بطريقة تخدم المصالح الاستراتيجيَّة لهذه الدول، وتحقّق لها عنصـــرًا مهمًا من عناصر النّزعة الإمبرياليَّة التي طغت على الفكر الأوروبي الجديد بعـــد الثَّـــورة الصّـــناعيَّة والنّهضة الجديدة في أوروبا، والتي تعتبر الهيمنة على موارد العالم أساس ديمومتها ونجاحها.

وإذا كانت الصّهيونيَّة، بكل أدبياتها كما أشرنا، تناقض المعتقدات اليهوديّة بل وتتصـــادم معهـــا، فـــإنّ الرفض اليهودي للصهيونيّة كان شاملًا؛ إذ طرحت نفسها على أنَّها رؤية كاملة وشاملة للحياة اليهوديَّـــة، والتَّاريخ اليهودي، والإنسان اليهودي، وعلاقته بالطبيعة (الأرض) وبذاته (الهويَّة اليهوديّـــة). ذلـــك لأنّ الصّهيونيَّة، في الأساس، تقوم على رفض العقيدة اليهوديَّة رفضًا قائمًا على أساس علماني، ومحاولتهـــا استيعاب المصطلح الدّيني وعلمنة اليهوديّة من الدّاخل عن طريق الحلوليّة الكمونيَّة (المسيري، 2022).

بالإضافة إلى كون التّصور الأرثوذكسي، على مدار التّاريخ اليهودي، يحرّم على اليهود العـــودة إلـــى فلسطين إلا بعد أن يأتي "الماشيح" المخلّص، فإنّ الصهيونية رأت أن هذه النّظرة هي نظرة ســـلبيّة مـــن شعب عاجز عن تحديد مصيره بنفسه، منتظرًا معجزة إلهية، وذلك يزيد من سلبيّة الشَّخصـــيّة اليهوديّـــة (تقي الدين، 2018).

وبذلك، فإنّ بقاء بعض الجماعات اليهوديَّة على موقف الرَّفض المطلق للفكـــر الصّـــهيوني والنَّظريَّـــة الصّهيونيّة وما نتج عنهما من الاستيطان في فلسطين وطرد سكانها منها، يبدو أمـــرًا منطقيًـــا. وهـــذه الجماعات متعدّدة ومنتشرة في العديد من دول العالم، ولا تزال تؤمن بمعتقدات ترى أنَّها أصل اليهوديّة كديانة، وهي محور الدّراسة في هذه الأطروحة.

1.10.2 التعقيب على الدّراسات السّابقة حول الجماعات اليهوديّة الرافضة للصهيونيّة

ثمَّة مقاربات جليّة في الدّراسات التي تناولت مناهضة الصّهيونيّة من داخل اليهود أنفسهم، وأوضـــحت هذه المقاربات أنّ رفض أو مناهضة أو حتى معاداة الصهيونية كان مبعثه الأساسي يُردّ إلـــى التـــوراة والعقيدة اليهوديّة، التي تنصُّ على أنَّ خلاص اليهود من الشتات إنَّما يكون بإرادة الرَّب حين يأذن بعودة الماشيح، وليس نتاج عمل بشري، كما ادّعت الحركة الصّهيونيَّة التي أخذت تقدّم وتطرح قراءة سياسيَّة للدين اليهودي، وتتجاهل رسالته الروحيَّة.

وفي سياق الأساس الدّيني للرفض، يأتي أيضًا شكل آخر لمناهضة الصّهيونيّة، يبدو ظاهره علمانيًا، إلا أنَّه في جوهره عقائدي؛ حيث أشار بيان هيئة الحاخامين الألمان، الذي جـــاء احتجاجًـــا علـــى الـــدعوة للمؤتمر الصّهيوني، إلى أنّ تعاليم اليهوديّة تلزم اليهود بالعمل لخدمة الوطن الذي يعيشـــون فيـــه بكـــل إخلاص، والدفاع عن مصالحه القوميّة (رزوق، 1971).

إلا أنّ المواقف سّابقة الذكر، التي تلخّص مبادئ ورؤى العديد من الجماعات والمنظّمات اليهوديّـــة فـــي مناهضتها للصّهيونيّة، لم تبقَ تراوح مكانها أو ثابتة على مبادئها ومرتكزاتها العقائديّة، حيـــث نجـــد أنّ تطورات كبيرة طرأت على القسم الأكبر من هذه الجماعات. فعلى سبيل المثال، نجد أنّ حركة أغودات إسرائيل، التي تأسّست عام 1912 من مجموعة كبيرة من اليهود المعادين للحركة الصّهيونيّة ورأت فيها تمردًا على مشيئة الرب (تقي الدين، 2018)، قد أخذت منعطفًا حادًا مغايرًا لما قامت من أجلـــه، حيـــث بدأت تؤيد الاستعمار الدّيني في فلسطين، ونشطت في بناء المدارس الدينيّة، والعمل على نشـــر التّعلـــيم

الديني، مع بقائها على موقف الرفض من قيام دولة إسرائيل على أيدي العلمانيين الذين يقودون الحركة الصهيونيّة (رزوق، 1971).

وهكذا، ذهبت العديد من المنظّمات والجماعات اليهوديّة في تغيير مواقفها المبدئيّة في مراحل مختلفة من عمر الحركة الصهيونية، ولاحقًا بعد قيام دولة إسرائيل. وقد كان لحاخام فلسطين الأكبر، أبراهام إسحاق كوك(1868-1935) ، دورٌ كبيرٌ في التأثير على اليهود المتدينين لحملهم على تأييد المزاعم الصهيونيّة.

وإنّ هذه الأطروحة، إذ تستعرض الدّراسات المتعلّقة بالجماعات المناهضة للصهيونيَّة في سياقها التّاريخي والأيديولوجي، فإنّها ترى أنّ لعبة المصالح الاستراتيجيّة الغربيّة، التي دفعت الدّول الغربيّة للوقوف إلى جانب الصهيونيّة ودعمها والدفاع عنها، ليست بعيدة بحال من الأحوال عن التّغيرات الجوهريّة التي طالت مواقف القسم الأكبر من الجماعات المناهضة للصهيونيّة، بل والتّحول إلى التماهي مع رؤيتها وفلسفتها وأهدافها، تحت ذرائع مختلفة تنطلق من الاعتراف الواقعي بالدّولة والتَّعامل مع مؤسّساتها دون منحها الاعتراف الشَّرعي المبني على الدين والعقيدة، إلى القول أحيانًا إنّ التَّعاطف الدَّولي مع فكرة إقامة الدَّولة هو نوع من الرّعاية الإلهيَّة ليهود العالم.

وفي كلّ التفسيرات أو المبررات، فإنّ الثابت الوحيد، الواقع الآن، هو أنَّ دولة الكيان الإسرائيلي قائمة على أسس صهيونيَّة علمانيَّة، وتحظى بدعم لا محدود من العالم، ورعاية جماعات من صلب الدين اليهودي كانوا أشدّ أعدائها يومًا ما.

1.10.3 التّعقيب على الدّراسات السّابقة حول جماعة ناطوري كارتا

لا شكّ أنّ كلّ جهد بحثيّ يحقّق إضافة معيّنة في حقل ما من حقول المعرفة الإنسانيّة. ومن خلال استعراض الدّراسات السّابقة، وجد الباحث أنّها تتناول ظروف نشأة جماعة "ناطوري كارتا"، وأبرز الركائز الدينيّة التي تقوم عليها، والمعتقدات التي تصوغ مواقفها وفقا لها. كما أشارت الدّراسات إلى

بعض التفاصيل الخاصّة بالجماعة، وظروف معيشتهم، وكيفيّة تعاملهم مع دولة الكيان الإسرائيليّ ومؤسّساته.

بالإضافة إلى ذلك، تناولت الدّراسات رؤية الحركة للقضيّة الفلسطينيّة، وسلّطت الضوء على تأييد الحركة لإقامة دولة فلسطين وإزالة دولة الكيان، دون أن تتناول أيّ من الدّراسات دور الحركة في دعم القضيّة الفلسطينيّة من النّاحية العمليّة، أو ما الذي فعلته ناطوري كارتا مع يهود العالم بعد إقامة دولة الكيان الإسرائيلي من أجل إنهاء الاحتلال، أو حشد التأييد لأفكارها المناهضة للصهيونيّة، وإبراز الوجه الحقيقيّ للحركة الصهيونيّة بصفتها حركة وظيفيّة تمّ إنشاؤها من خلال التلاعب بمكوّنات وثوابت الدّين اليهوديّ لتحقيق مصالح استراتيجيّة للقوى الإمبرياليّة في العالم. وهذا ما تسعى الأطروحة إلى توضيحه وتفسيره والبحث فيه.

وحيث إنّ هذه الأطروحة تمثّل استكمالًا لمسار البحث في موضوع الجماعات والمنظّمات اليهوديّة المناهضة للصهيونيّة، وهو موضوع شهد جهودا بحثيّة ودراسيّة متعدّدة في السياقات التاريخيّة والفكريّة لهذه الجماعات وما آلت إليه في مراحل زمنيّة لاحقة، إلّا أنّها لم تتناول المواقف العمليّة لهذه الجماعات من القضيّة الفلسطينيّة أو الجهود التي قامت بها على مختلف الأصعدة من أجل الحقوق الفلسطينيّة وإنهاء الاحتلال للأراضي الفلسطينيّة. كما أنّ الدّراسات السّابقة لم تتناول أيّ محاولات لهذه الجماعات للتّأثير على مواقف يهود العالم أو المؤسّسات والمنظّمات اليهوديّة الدّاعمة لدولة الكيان الإسرائيلي، ولم يرد أيّ ذكر لمحاولات على الساحة الدوليّة لهذه الجماعات في إطار مواقفها المعلنة لإنهاء الاحتلال الصهيونيّ لفلسطين.

وعليه، فإنّ هذه الأطروحة ستسلّط الضوء على جماعة ناطوري كارتا (حرّاس المدينة)، وتركّز الجهد على توضيح الخلفيّات الدينيّة وغير الدينيّة لرفضها للفكرة والحركة الصهيونيّة، بالإضافة إلى مواقفها من القضيّة الفلسطينيّة والمكوّنات الرسميّة وغير الرسميّة في النظام السياسيّ الفلسطينيّ، وكيف عملت على تأييد الفلسطينيين ودعمهم في مختلف المحافل الدوليّة.

وفي سياق هذا الأمر، يكون أيضا رصد دقيق لموقف الحركة من دولة الكيان الإسرائيليّ، وماهيّة تعامل الجماعة معه بكلّ مكوّناته.

1.11 منهج الدراسة

تقوم هذه الدراسة على البحث الشمولي للحالة الدراسية التي تتناولها في سياق معالجة المشكلة البحثية الأساسية والأسئلة الفرعية المنبثقة عنها، ولتحقيق الموضوعية وكي تحظى الدراسة بالمصداقية، فقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، كأحد المناهج البحثية الأصيلة في الدراسات الإنسانية بشكل عام، ولشموله على خصائص تخدم في تحقيق اهداف الدراسة من خلال الجمع بين الوصف والتحليل اللذان يحققان تناول البعد التاريخي ومحددات الحدوث للحالة محور الدراسة من جهة، ودراسة مجمل الظواهر والمتغيرات والعلاقات والمؤثرات المرتبطة بها من جهة أخرى. كما يوفر هذا المنهج مسارا شاملا للتفسير والتحليل والربط بين مجمل العوامل المتداخلة ابتداء من البعد التاريخي وتسلسل الأحداث وتركيبها وصولا الى استشراف مستقبل الحالة بشكل عام واستخلاص النتائج وتقديم التوصيات. كما تستعين الدّراسة بأدوات الوصف وتحليل المضمون.

الفصل الثَّاني

المدخل النَّظري: الصّهيونيَّة

2.1 تمهيد

يستعرض هذا الفصل دراسة الحركة الصُّهيونيَّة من حيث المفهوم، وأهمّ الأسس التي قامت عليها، وأبرز روادها، والعوامل الدّينيَّة والاجتماعيَّة الدّاعمة لنشوئها، وأبرز معالم علاقتها بالدّيانة اليهوديَّة، وعلاقاتها بالمكونات اليهوديَّة الأخرى، والارتباط مع المسيحية، وتأثير مؤتمر بازل في مسار الصّهيونيَّة. كما يستعرض هذا الفصل خارطة أهمّ الجماعات والحركات المناهضة للصّهيونيَّة، سواء المصاحبة لنشوء الحركة أو التي جاءت في مراحل متأخرة من نشوئها.

2.1.1 مقاربات حول مفهوم الصّهيونيَّة

تناول الباحثون والكتّاب المختصون وذوو العلاقة بالتّاريخ اليهودي والدّراسات اليهوديَّة، مصطلح الصّهيونيَّة بالكثير من التّفسير والشَّرح، في مسعى لتحديد أبعاد هذا المصطلح ودلالاته، ليكون ذا مضمون دقيق يُعبّر عن الواقع الحقيقي الذي يعكسه مكان وزمان استخدام المصطلح. ويُرجع استعمال الصُّهيونيَّة للمرَّة الأولى إلى المفكر والكاتب اليهودي ناثان بيرنباوم (Nathan Birnbaum) (1864 – 1937) في مجلة الانعتاق الذاتي، حيث استمده من كلمة صهيون للدّلالة على الحركة المتجدّدة التي تدعم عودة الشَّعب اليهودي إلى فلسطين وتحقيق آماله وأمانيه، والتي أطلق عليها اسم محبو صهيون (حوففي تسيون). (المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، د.ت).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ المصطلح كان مجالًا حيويًّا للاجتهاد بين الكتّاب والباحثين، حيث تشير الدّراسة في هذا الصدد إلى وجود اشتقاقات أو انشقاقات أو تفرعات عديدة لمصطلح الصُّهيونيَّة، حتى لدى الكتّاب اليهود أنفسهم، لربطه بدلالات مباشرة في إطار معين، مثل استخدام الصُّهيونيَّة الاشتراكيَّة، والصُّهيونيَّة العماليَّة، والصُّهيونيَّة التّنقيحيَّة، والصُّهيونيَّة الثَّقافيَّة، والصُّهيونيَّة الروحيّة، والصّهيونيَّة

الدّينيّة، والصُّهيونيَّة الدّبلوماسيَّة والسّياسيَّة، والصُّهيونيَّة الراديكاليَّة، والصُّهيونيَّة العمليَّة، والصُّهيونيَّة الاستيطانيَّة (ناؤور، 1996)، وغيرها من الاشتقاقات والفروع التي تنسجم مع المفهوم العام روحًا ومضمونًا، حتى وإن اختلفت معه في التّعريف الإجرائي، الذي يكون محكومًا عادة بغرض أو داعٍ توظيفي لمرحلة أو ظرفيّة معيّنة.

وفي هذا الإطار أيضًا، نُسلّط الضوء على مؤتمر بازل 1897، الذي وضع أساسًا واقعيًا لمفهوم الصُّهيونية، من خلال الربط الوثيق بين دوافع انعقاد المؤتمر ومقرراته من جهة، والأهداف والأدوات التي تبنّاها لتحقيق أهدافه من جهة أخرى.

وبناء على ما سبق، فإنه من المنطقي جدًا استنتاج أنَّ كلَّ تعريفات أو توصيفات مصطلح (الصُّهيونيَّة) تدور في فلك واحد، وتقود إلى تقاطعات متماثلة في المفهوم، لا يختلف فيها إلا الصّياغة، دون تناقض أو تضارب في المضمون أو الفهم العام، والإطار الموضوعي الدقيق الذي يُحدّد معالم ومكونات المفهوم.

وخلاصة القول، إنَّ فهم الصُّهيونيَّة لا يمكن فصله عن أهدافها المتمثّلة بإقامة دولة قوميَّة يهوديَّة للشَّعب اليهودي في أرض إسرائيل التَّاريخيَّة، المتمثّلة بأرض صهيون (مناحيم و افرايم ، 1988)، وفي هذا ربط واضح بأهداف الحركة الصُّهيونيَّة، واستناد تام إلى المعتقدات التّوراتيَّة التي تنصُّ على أنَّ جبل صهيون، الذي يعني القسم المُحصّن والجبل المشمس من مدينة القدس، والذي استولى عليه داوود (عليه السلام) من اليبوسيين، أصبح يُرمز به إلى جميع أرض إسرائيل (مناحيم و افرايم ، 1988)، وهو المكان المحدّد لإقامة الوطن القومي لليهود، ويكتسب قداسة لدى اليهود، كونهم يعتقدون أنَّ الرَّب يسكن فيه، فقد ورد في مزامير داوود: "رنموا للرب الساكن في صهيون" (مزامير 9:11).

وبناءً على ما تقدّم، تستنتج الدّراسة أنَّ الصُّهيونيَّة في مفهومها العام، واستنادًا إلى ما ورد أعلاه، تفضي إلى أنَّها حركة سياسية، عملت على إقامة "وطن قومي لليهود" على أرض فلسطين كونها تمثل أرض

صهيون، استنادًا إلى أسس علمانيَّة قوميَّة في ظاهرها، دينيَّة في قوامها وبنيتها، باستخدام أساليب عنصريَّة، وأدوات العنف والقتل والإرهاب، وصولًا إلى التَّطهير العرقي للسكان في هذه الأرض.

كما تحقّق بذلك الرَّغبة الأوروبيَّة بالخلاص من اليهود القاطنين دول أوروبا وخاصة الشرقية منها، بشكل يساعد هذه الدّول على تحقيق أهدافها في توسيع نفوذها، وبسط سيطرتها على دول وثروات العالم، لا سيما مع تعاظم سطوة رأس المال، ورأس المال اليهودي بشكل خاص، في أوروبا الغربيَّة، وظهور الأنظمة الإمبرياليَّة، وفي إطار سعيها (الصُّهيونية) لتخليص يهود العالم من الاضطهاد والشَّتات.

ويجب الإشارة هنا إلى أنَّ كون الصُّهيونية السّياسيَّة حركة يهوديَّة النّشأة، فإنَّ ذلك لا يُسقط كونها أيضًا وجهة فكريَّة لغير اليهود الذين يؤمنون بحق اليهود في إقامة وطن لهم في فلسطين، سواء أكان ذلك إيمانًا مَبعثُه القناعة الدّينيَّة بهذا الأمر مثل المسيحية البروتستانتية، أو إيمانًا ذا خلفيات سياسيَّة بحتة، يقوم على مصالح استراتيجيَّة للدّول الغربيَّة.

2.1.2 المسيحيَّة الصّهيونيّة

ظهرت الحركة المعروفة بالمسيحيَّة الصُّهيونيَّة في القرن السابع عشر في إنجلترا، واستندت بشكل أساسي إلى الربط بين الدّين والسّياسة، حيث تصوُّر أنّ إقامة دولة يهوديَّة يأتي تحقيقًا لنبوءات الكتاب المقدّس. ومع تزايد الهجرات إلى الولايات المتّحدة، أخذت هذه الحركة بُعدًا سياسيًّا دوليًّا وشرعت بتقديم الدّعم لليهود المقيمين في فلسطين.

وتنطلق جذور هذه الحركة من تيار ديني يعود إلى المسيحية الأولى، يُعرف بتيار الألفيَّة، وهو معتقد يفترض أنَّ السّيد المسيح سيعود إلى العالم ليحكم الأرض مدّة ألف عام. وقد تأثّرت العقيدة المسيحية بأفكار تقول إنَّ الأمّة اليهوديَّة انتهت مع مجيء السيد المسيح، وإنَّ خروجهم من فلسطين كان عقابًا لهم على صلبه. لكن مع ظهور حركة الإصلاح الدّيني في القرن السادس عشر على يد مارتن لوثر في

أوروبا، وتبنيها فكرة أنَّ اليهود هم شعب الله المختار، ربطت المسيحيَّة الصُّهيونيَّة عودة السيد المسيح بقيام دولة إسرائيل في فلسطين كمقدّمة لهذه العودة وتحقّق نظريَّة الألفيَّة. (السماك، 1993).

وفي القرن التاسع عشر، ظهرت تباينات كبيرة داخل الحركة استندت إلى خلافات حول الأولويات الدّينيَّة والسّياسيّة، والعلاقات مع اليهود، وتصورات مستقبل فلسطين، والدّور السياسي للدّين، وعلى إثر هذه التّباينات، انقسم مفكرو المسيحيّة الصّهيونيّة إلى مدرستين فكريتين:

1. المدرسة الأولى: هي البريطانية التي رأت ضرورة تحوُّل اليهود إلى المسيحيّة ووجوب التزامهم التعاليم المسيحية قبل رجوعهم، حتى يعودوا كمسيحيين للأرض المقدّسة.
2. المدرسة الثّانية: هي الأمريكيّة التي آمنت أنَّ عودة اليهود إلى فلسطين تسبق تحوُّلهم إلى المسيحيَّة. وقد كان القسّ الأيرلندي جون نيلسون داربي (John Nelson Darby) من أبرز شخصيات المدرسة الأمريكيَّة، ونشر أفكاره عبر مؤلفات وزيارات تبشيريّة للولايات المتّحدة. وواصل عدّة قساوسة مثل داويت مودي (Dwight Lyman Moody) ووليام يوجين بلاكستون (William Eugene Blackstone) دعم هذه الأفكار، حيث اشتهر بلاكستون بكتابه (المسيح آت) الذي ركّز على حق اليهود في فلسطين، كما برز أيضًا القسّ سايروس سكوفيلد (Cyrus Ingerson Scofield) الذي قدّم كتاب (إنجيل سكوفيلد المرجعي) كمرجع لهذه الحركة.

ومن أهمّ السّياسيين المؤثّرين في نمو المسيحيَّة الصُّهيونيَّة كان اللورد شافتسبري (Lord Shaftesbury) عضو البرلمان البريطاني، الذي دعا في عام 1839 إلى تشجيع عودة اليهود إلى فلسطين، واصفًا إياهم بأنَّهم "شعب بلا وطن لوطن بلا شعب"، قبل ظهور الصّهيونيّة السّياسيّة. (المنشاوي، 2006).

وبذلك، تكون المسيحيّة الصّهيونيّة قد شكّلت منطلقًا مهمًّا في بناء الفلسفة التي قامت عليها الصّهيونيّة السّياسيّة منذ مؤتمر بازل عام 1897، والتي لم تكن قائمة على أسس دينيّة، لكنّها لم تجد مفَرًّا من

اللجوء للنّصوص الدّينيّة أو استخدامها في سبيل استقطاب اليهود في مختلف أنحاء العالم، حيث تُجمع الحركتان على فرض سيادة يهوديّة على كلّ أرض فلسطين لإقامة دولة اليهود، سواء بعودتهم كيهود أو كمسيحيين، (المنشاوي، 2006) وإن كانت البواعث متباينة أو متناقضة، فالمسيحيَّة الصّهيونيّة خلفيتها في هذا الأمر دينية عقائديّة، والصّهيونيّة السّياسيّة باعثها الظاهري قومي علماني.

2.1.3 دور مؤتمر بازل 1897 في نشوء الحركة الصّهيونيّة

بالرّغم من الصعوبات التي واجهت هرتزل (Herzl) أثناء سعيه لإقامة هذا المؤتمر، والتي تمثّلت بشكل أساسي في رفض يهود أوروبا الشَّرقيّة وحركة الهسكلاه انعقاد المؤتمر، ورفض حاخامات اليهود الألمان إقامته في ألمانيا، وإحجام أثرياء اليهود عن تمويله، إلا أنَّه نجح في عقد المؤتمر بحضور قرابة 200 شخصية يمثّلون منظّمات وطوائف يهوديّة من مختلف دول العالم، وأعلن أنّ انعقاد هذا المؤتمر يأتي من أجل وضع حجر الأساس لإنشاء وطن قومي لليهود وهو المأوى الذي سيضمّ الشّعب اليهودي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا المؤتمر لم يُقرّ بشكل نهائي أنَّ فلسطين هي المكان الذي يجب أن يُقام فيه الوطن القومي المنشود ليهود العالم، إلا أنَّه حدّد أهداف الحركة الصُّهيونيَّة في إنشاء الحركة السّياسيَّة، وأقرّ العَلَم الصّهيوني والنّشيد القومي، وبدأ العمل من أجل الحصول على الشّرعيَّة الدَّوليَّة لمطالب اليهود الصّهاينة، وأقرّ إنشاء المنظّمة الصّهيونيّة العالميّة التي عملت من خلال لجانها المتعدّدة كحكومة قائمة تُدير شؤون اليهود، وقد عُرفت هذه المخرجات لاحقًا في بعض الأدبيات بمشروع بازل.

وبناء على ما تقدم، فإنّ مؤتمر بازل يكتسب أهميّة استثنائيّة، كونه أظهر وجود المنظّمة الصّهيونيّة العالميّة في إطارها السّياسي، أو ما بات يُطلق عليه الحركة الصّهيونيّة، بأبعادها القوميّة العلمانيّة، بعد أن كانت الصّهيونيّة والمسيحيّة الصّهيونيّة في القرون السابقة ذات منطلقات وخلفيات دينيّة. (إمحمد، 2011).

وتستنتج الدّراسة أنّ مؤتمر بازل، الذي شكّل أوّل تجمّع تمثيلي عالمي لليهود منذ شتاتهم، يسعى إلى حل ما يُسمّى بالمشكلة اليهودية وإنهاء حالة الاضطهاد والشتات اللذين ظل يعاني منهما اليهود على مدار قرون طويلة، كان العامل الحاسم في إطلاق الصّهيونيّة السّياسيّة وأهدافها، التي تمثّل امتدادًا للفكر الأوروبي في ذلك الوقت، والذي سيطرت عليه العلمانيّة والإمبرياليّة الرّأسماليّة، على حساب المعتقدات الدّينيّة والبواعث الرّوحانيّة المرتبطة بالتّراث الدّيني والعقيدة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المؤتمر رغم عاصفة المعارضة من معظم اليهود في أوروبا (Sampter, 2006)، شكّل منعطفًا مهمًا في السّياسة الدّوليّة وإعادة تشكيل العلاقات الدّوليّة على أسس جديدة تسودها الرّغبات التّوسعيّة الجامحة للدّول الكبرى، بوسائل الاحتلال المباشر أو غير المباشر لتحقيق أهداف ومصالح استراتيجيّة اقتصاديّة متمثّلة بالسيطرة على ثروات العالم، وسياسية تقود إلى نفوذ يمتد على جغرافيا العالم كلّه. وفي هذا الصدد تؤكد الدراسة أنّ الدّعم الغربي للفكرة الصّهيونيّة يبدو أمرًا طبيعيًّا، وحتى ضروريًّا، كون أهداف هذه الحركة تتماهى مع الأهداف الاستراتيجيّة لهذه الدّول، بل إنّها نتيجة لها.

2.1.4 روّاد الصُّهيونيَّة

إنّ كلَّ فكرة ترتبط بالإنسان ويسعى لتطويرها ويَبني عليها أهدافَه، لا بُدَّ لها من مُنظِّرين يقودون العمل من أجل تحقيق القبول الجماهيريِّ لها حتى تسير وتتطوَّر وتضمن البقاء، وصولًا إلى تحقيق الأهداف المنشودة من وجودها. وكذا هي الفكرة الصّهيونيّة، التي بدأت على شكل إرهاصات غير مُنظَّمة لدى العديد من مسيحيِّي ثم يهود أوروبا، ثمّ تحوَّلت إلى فكر شامل يسعى إلى تحقيق أهداف محدَّدة لليهود. ونُسلِّط الضوءَ في هذا الجزء من الدراسة على روّاد الصّهيونيّة الذين شكَّلوا القوَّة الأولى التي عملت على تطوُّر الفكرة إلى حركة، ثمّ إلى نظامٍ مُتكامل الأركان ومحدَّد الأهداف.

1. شبتاي زئيفي (Shabbetai Zevi) (1626–1676)، الذي وُلد في مدينة أزمير تحت حكم الدّولة العثمانيَّة، يُعتَبَر شخصيَّة بارزة في التَّاريخ اليهوديِّ. ادّعى زئيفي أنَّه المسيح الموعود لليهود، وكان من أوائل المُنادين بإعادة بناء الهيكل في القدس، بهدف تحريرِ اليهود من قيود المهانة وتعزيز مكانتهم بين أمم العالم. حيث اقترح تشكيل لجنة تُمثِّلُ يهود 15 بلدًا، تتَّخذ قرارات مُلزِمةً تهدف إلى تحقيق مشروعه. ودعا هذه اللجنة إلى التّعاون مع فرنسا لاستعادة فلسطين والسّاحل المصريِّ، مُشجِّعًا اليهود على التَّضحية بكلِّ الوسائل الممكنة لتحقيق العودةِ إلى "أرضِهم"، حيث يمكنهم العيش وفقَ شرائعهم الخاصَّة. ورغم سجنه من قبلِ السلطات العثمانية وإعلانه الإسلام كشكلٍ من أشكالِ التراجع الظاهريِّ، ظلَّ زئيفي محافظًا على ارتباطه بهويتِه اليهودية. (المركز الفلسطيني للإعلام، 2007).

2. الحاخام يهودا القالي (القلعي) (Judah Alkalai) (1798–1878) ولد في سراييفو، وكانت رؤيته عملية تجاه تحقيق هدف العودة إلى الأرض المقدَّسة. في عام 1843، اقترح عقد جمعية عامة كبرى لليهود، وإنشاءَ صندوق قوميٍّ لشراءِ الأراضي، بالإضافة إلى صندوق مُخصَّصٍ للضرائبِ اليهودية. كما دعا إلى العودة التَّدريجيّة لليهود إلى فلسطين، مع إعداد الأرض مُسبقًا لاستقبالهم. هذه الأفكار كانت حجر الأساس للحركة الصّهيونيّة التي تبنَّتها لاحقًا، كما طالب بتشكيل مجلس للحُكماء يتمتَّع بالسّلطة والاحترام لفرض قراراته. (المركز الفلسطيني للإعلام، 2007).

3. الحاخام تسفي هيرش كاليشر (Zevi Hirsch Kalischer) (1795–1874)، الذي عاش في بروسيا وأمضى مُعظم حياته في بولندا، يُعَدُّ من الروّاد الكبار للصّهيونيّة. في عام 1862، نشر كتابه: دعوةُ الصّهيونيّة أو نداء الصّهيونية (Derishat Ẓiyyon)، الذي يُعتَبَر أول عمل أدبيّ ظهر في شرق أوروبا مُتناولًا الاستيطان الزراعيَّ اليهوديَّ كوسيلة لإعادة توطين اليهود في فلسطين. وأكّد أنَّ الخلاص اليهوديَّ يبدأ عبر الجهد الإنسانيِّ، وبالتّفاهم مع الأمم لجمعِ اليهود في

الأرضِ المقدَّسة. ودعمَ فكرةَ الاستيطان حيث أكد على أهمية تأسيس منظّمة تُعنى بهذا الهدف. (المركز الفلسطيني للإعلام، 2007).

4. موشيه هس (Moses Hess) (1812–1875)، الألماني النَّشأة، بدأ حياته كاشتراكي يساري وتعاون مع كارل ماركس. لكن إخفاق ثورة عام 1848 في ألمانيا وتأثّره بالفكر القومي الإيطالي دفعاه لنشر كتاب "روما والقدس" عام 1862، الذي يعتبر أساسًا فلسفيًّا للصّهيونيَّة. تساءل في كتابه إن كان للإيطاليين وطنهم القومي فلماذا لا يكون ذلك لليهود؟ وأكَّد أنَّ لكلّ شعب دوره الرّوحي ومهمّته التَّاريخيَّة، مشيرًا إلى أنَّ نهضة اليهود لا تتحقّق إلا عبر نهضة قوميَّة ترتكز على "أرض الميعاد". (المركز الفلسطيني للإعلام، 2007).

5. ليو بنسكر (Leon Pinsker) (1821–1891)، النَّاشط البولندي الرّوسي، حيث يعتبر المؤسّس الحقيقي للصّهيونيَّة السّياسيّة، ومؤسّس حركة أحباء صهيون. نشر كتابه "التّحرر الذّاتي" باللغة الألمانيّة، ودعا فيه إلى خلق قوميَّة يهوديّة تتيح لهم العيش على أرض محدّدة. كما اقترح تأسيس منظّمة مركزيّة أو شركة مساهمة تعنى بشراء الأراضي وتنفيذ المشاريع. (محمود، 2020).

6. ثيودور هرتزل (Theodor Herzl) (1860–1904)، يعتبر الأب والمؤسّس الفعلي للحركة الصّهيونيّة السياسية. ولد في بودابست لعائلة يهوديّة مجريّة نمساويّة، ونشط بداية ضمن تيار الاندماج الدّاعي للاستنارة اليهوديّة المعروفة بالهسكلاه، وعمل صحافيًّا، إلا أنَّه تحوّل لتيار الصّهيونيَّة عام 1894. وفي عام 1896 نشر كتابه الشّهير، دولة اليهود، باللغة الألمانيّة، حيث أكّد أنَّ القضيّة اليهوديّة هي مسألة قوميّة. كما دعا لتأسيس جمعيّة يهوديّة وشركة تعمل على إقامة دولة يهوديّة كتفاعل عملي مع مشكلة اللاساميّة. وتميّز هرتزل بشخصيّته الدّيناميكيّة التي جعلت أفكاره النّظريّة تتحوّل إلى خطوات عمليّة، بدأها بتأسيس المنظّمة الصّهيونيّة العالميّة. (المركز الفلسطيني للإعلام، 2007).

7. حاييم وايزمن (Chaim Weizmann) (1874–1952): أسّس جمعيّة (لغة واضحة)، التي كان هدفها إحياء اللغة العبريّة كجزء من نشاطه الكبير في إطار الحركة الصّهيونيّة وهو في الخامسة عشرة من عمره. وأثناء دراسته الجامعيّة انضمّ إلى مجموعة من الطّلبة اليهود الروس الذين كانوا يدعمون فكرة الصّهيونيّة.

ورغم عدم مشاركته في المؤتمر الصّهيوني الأوّل عام 1897، كان له حضور بارز في المؤتمرات اللاحقة، واستطاع بناء علاقات وثيقة مع السّاسة البريطانيين وخاصة اللورد آرثر بلفور.

في عام 1917 انتخب كرئيس للتّجمع الصّهيوني في بريطانيا، وقام بتقديم طلب رسمي للاعتراف بحق اليهود في الاستيطان بفلسطين وبهجرة اليهود إليها.

كانت جهوده تمثّل أحد العوامل الرّئيسة وراء صدور وعد بلفور عام 1917، وعندما سيطرت بريطانيا على فلسطين في عام 1918، وصل وايزمن إلى فلسطين برفقة لجنة صهيونيّة لدعم الاستيطان اليهودي، ووضع الأسس لتنفيذ وعد بلفور الذي يسعى لإنشاء وطن قومي لليهود. كما قام بوضع حجر الأساس للجامعة العبرية في القدس.

بعد إصدار الكتاب الأبيض في عام 1930، الذي قلّص الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، أطلق وايزمن جهودًا دبلوماسيَّة مكثّفة لتغيير موقف بريطانيا. كان له دور محوري في تأمين دعم الولايات المتّحدة لفكرة تقسيم فلسطين، عبر التّواصل مع الرّئيس الأميركي هاري ترومان، ممَّا ساهم لاحقًا في الاعتراف الأميركي بالدّولة الإسرائيليّة فور إعلانها. (أكاديمية دراسات اللاجئين، د.ت).

2.1.5 الأُسُس الفكريّة للصّهيونيّة

إنَّ وجود الغايات يفرض بالضّرورة اتّباع الوسائل، وكلاهما يقتضي وجود مرجع يمثّل منطلقًا يحدّد ماهيّة الأهداف وطبيعة الوسائل. وعليه، فإنّ الصّهيونيّة لم تكن قائمة على فراغ، بل إنّ ثمّة أُسسًا وركائز شكّلت المنطلق الذي قامت عليه البنية الفكريّة والفلسفيّة، التي كانت باعثًا للغايات والأهداف والوسائل التي رسمت قوام الصهيونيّة منذ بداياتها. ونستعرض في هذا الجزء من الدراسة أهمّ الأُسس الفكريّة للصّهيونيّة. (المسيري ، 2003)

1. فكرة الإنسان الطّبيعي وعودة الإنسان إلى الطّبيعة. فقد شكّلت هذه الفكرة أساسًا مهمًّا في الفكر الصّهيوني، حيث تمّ تفسيرها صهيونيًّا أنّ الإنسان الطبيعي هو المستوطن الصّهيوني. وعليه فإنّ الدّعوة الصهيونيّة في العودة إلى أرض صهيون أو فلسطين، تجدّد العودة إلى الطّبيعة.

2. فكر الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه القائم على الإيمان بالإنسان الأعلى (superman)، الذي لا علاقة له بالخير والشّر، ويشبه في نشاطه وحركته عناصر الطّبيعة، وبالتّالي فإنّ اليهود ليسوا مجرّد أُمّة، إنّما هم (super nation) أو الأُمّة العليا.

3. فلسفة تشارلز داروين (الفكر الدّاروينى)، الذي ينظر إلى الواقع على أنّه صراع الجميع ضدّ الجميع بشكل مستمر، والبقاء فيه يكون مرهونًا بالقوّة، لا بالخير أو الجمال. ووفقًا لهذه الفلسفة، فإنّ الأصلح هو الأقوى، وعليه، فإنّ كلّ سلوك ينتهجه، هو سلوك صحيح، حتّى وإن وصل إلى قتل الملايين أو إبادتهم واحتلال أرضهم.

4. نظريّات التفاوت العرقي والبيولوجي والحضاري التي ظهرت في أوروبا لتسوّغ الشّعارات الأوروبيّة الدّاعية إلى ضرورة إخضاع الشّعوب الأدنى من منظور غربي، بداعي نشر التقدّم في ربوع الأرض. وقد تبنّت الصّهيونيّة كثيرًا من هذه الأفكار العنصريّة لتبرير غزوهم الاستيطاني لفلسطين.

5. فكرة الشّعب العضوي، التي هيمنت على الغرب بعد سيادة العلمانيّة على حساب الدّين والكنيسة، حيث أصبح تمييز شعب عن آخر هو سماته العرقيّة أو الإثنيّة، وهي سمات ماديّة كافية فيه. وقد انطبقت هذه السّمات على اليهود من وجهة نظر أوروبيّة، ولكن الشّعب اليهودي ليس شعبًا عضويًّا ضمن الأرض أو الحضارة الأوروبيّة، ويجب نقلهم وتوطينهم خارج نطاق أوروبا.

ومن خلال استعراض الأُسس الفكريّة آنفة الذّكر، نجد أنّ الفلسفة المكوّنة للفكر الصهيوني قائمة بالأساس على إنتاج فكريّ أوروبيّ حدّد معالم الحضارة الأوروبيّة في المراحل اللاحقة للثّورة على الكنيسة وبداية مراحل الإمبرياليّة، التي يُعتبر قوامها عنصريًّا في أساسه، حيث يقوم على احتقار الأجناس غير الأوروبيّة، بما فيهم اليهود، ويقدّم المُسوّغات والمبرّرات لسلوكه في احتلال شعوب العالم والسّيطرة على مقدّراته وثرواته باستخدام العنف والقوّة وإبادة الملايين عند الحاجة، وقد تبنّى الصّهاينة هذه الأفكار لكونها تبرّر ذات السّلوك لتحقيق أهدافهم.

ورغم أنّ الأُسس السّابقة تشكّل إطارًا عامًّا ناضجًا لبناء فكرة الصّهيونيّة في سياقها الفلسفي، إلّا أنّ ثمّة أُسسًا أخرى يجب الإشارة إليها في معرض دراسة عوامل وأُسس الأفكار البنيويّة في الصّهيونيّة، وهي على النّحو الآتي:

أوّلًا: الأُسس الدّينيّة للفكر الصّهيوني

الصهيونيّة لم تستطع أن تعرّف نفسها أو تبني مشروعها بشكل كامل خارج منظومة اللّغة والرّمزيّة الدّينيّة، كما لم تستطع قطع العلاقة تمامًا بينها كحركة قوميّة علمانيّة وبين التّراث اليهودي، فهرتزل نفسه قال إنّ الذي سيُقيم الدّولة في نهاية المطاف ليس التّكنولوجيا، ولا الثّقة بالنّفس، ولا الأُمم المتّحدة، إنّما الله، وهذا يُشكّل دلالة دامغة على إدراك هرتزل أنّه لن يستطيع تجنيد أوساط واسعة لمشروعه من الوسط اليهودي دون توظيف سرديّة تاريخيّة دينيّة. (زريق، 2020). وبناء على ذلك، نستعرض أهم المحددات الدينية التي شكلت أسساً قاعدية للفكر الصهيوني، وهي كمايلي:

1. أسطورة (الوعد الإلهي)

لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النّهر الكبير نهـر الفـرات". (سـفر التّكـوين 15: 18) استندت الصهيونيّة إلى قراءة متزمّتة لهذا النّص في عقيدتها الفكريّة، معلّلةً أنّ إنشاء إسرائيل ينبع مـن الوعد الأبوي، أي الوعد الإلهي لإبراهيم(Garaudy, 2019) .وإذا كان هذا التّفسـير يُعتبـر توظيفًـا صريحًا لنصّ دينيّ في خدمة فكرة محدّدة، فإنّ ذلك يعني اعتماده بشكل صريح كأحد الأُسـس الفكريّـة التي تقوم عليها هذه الفكرة أو المشروع.

2. أسطورة (الشعب المختار)

فتقول لفرعون: هكذا يقول الرّبّ: إسرائيل ابني البكر، فقلت لك: أطلق ابني ليعبدني، فأبيت أن تُطلقـه، ها أنا أقتل ابنك البكر". (سفر الخروج 4: 22 – 23) وفقًا للقراءة الصّهيونيّة لهذا النّص، يمكن تقسـيم العالم إلى قسمين، اليهود من جهة، والأُمم الأُخرى مجتمعة من جهة أُخرى. فـاليهود هـم شـعب الله المختار، وهذه عقيدة أساسيّة لدى الصهيونيّة(Garaudy, 2019) . وتُشكّل هذه الأُسطورة أيضًا ركيـزة أساسيّة في الفكر الصّهيوني، لا سيّما أنّ الصهيونيّة تقوم على إقامة دولة اليهود بالقوّة والتّدخّل البشري، ولا يضيرها استخدام العنف بحقّ الآخرين، الذين يُشكّلون وفق هذا الفهم، عنصرًا بشـريًّا أدنـى مـن اليهود، ويتمّ التّعامل معهم بصفتهم عائقًا أمام الإرادة الإلهيّة باصطفاء اليهود وتفضيلهم على بقيّة الأُمم.

3. أسطورة يشوع (التَّطهير العرقي)

"ثمّ تحرّك يشوع وجيش إسرائيل من لخيش نحو عجلون، فحاصروها وحاربوها واستولوا عليها في ذلك اليوم، ودمّروها وقضـوا علـى كـلّ نفـس فيهـا بحـدّ السّـيف". (سـفر يشـوع 10: 34 – 39) حيث تستلهم الحركة الصهيونيّة من هذا النّص، وتستند عليه في أدبيّاتها الفكريّة التي تُسـوّغ التّطهيـر العرقي لسُكّان الأرض، التي يسعون لإقامة الوطن القومي عليها (Garaudy, 2019) .

كما تُعتبر هذه الأُسطورة أيضًا مُحرّكًا رئيسًا في ردّ الصّهاينة على اليهود المُعارضين للصّهيونيّة، والذين يُنادون على أُسس توارتيّة أيضًا بعدم استخدام العنف وتحريم قتل غير اليهود.

ويُلاحظ من دراسة الأساطير الثّلاث السّابقة، أنّ الصّهيونيّة قد وظّفت النّصوص الدينيّة في إطار يجعل اليهوديّ وكأنّه مأمور من الله أن يُصبح صهيونيًّا. إذ أن تأويل النصوص وتسخيرها لظرفية زمانية ومكانية محددة، بهدف تسويقها كمبادئ تنطلق منها وتقوم عليها فكرة معينة، يصوّر هذه الفكرة على انها استجابة صريحة لتلك النصوص، وبالتالي فإن الإيمان بها يُعدّ استجابة لأوامر النص، والتزاماً عقائديا به، وبذلك فإن الفكرة لا تكون فعلا بشرياً، بل هي تكريسٌ وتنفيذٌ للإرادة الإلهية.

ثانيًا: الأُسس الفكريّة القائمة على عوامل اجتماعيّة

قدّمت الصهيونيّة نفسها على أنّها الخيار الوحيد لتخليص اليهود من الاضطهاد وحالة الشّتات التي يعيشونها، مستغلّة بذلك جملة الظّروف الاجتماعيّة التي كانت تسود الدّول الأوروبيّة مع التّحوّلات الجذريّة في هذه الدّول. وفي استعراض الأُسس الفكريّة القائمة على عوامل اجتماعيّة، تُعالج الدّراسة عنصرين كان لهما أثرٌ كبيرٌ في نجاح الصهيونيّة في تسويق ذاتها وتسويق مشروعها في إطار ادّعائها حلّ (المشكلة اليهوديّة) أو (مشكلة اليهود) ، وهما الشّتات اليهودي ومعاداة السّاميّة.

1. الشّتات اليهودي –الدياسبورا– Diaspora

يُعتبر السّبي البابلي من أبرز وأهمّ الأحداث في حياة وتاريخ اليهود، وهو السّبي الذي قاده نبوخذ نصّر الكلداني عام 576 ق.م، ثمّ التّدمير الرّوماني للقدس وطرد اليهود بقيادة تيطس الرّوماني عام 70 م، وكان هذا آخر عهدهم بفلسطين، حيث بدأت بعد ذلك رحلة شتاتهم.

وقد استغلّ منظّرو الحركة الصهيونيّة من خلال دوائرها والهيئات التّابعة لها هذه الحالة لليهود، لتقديم الحركة كرمز وخيار وحيد للخروج من حالة العزلة وحياة الجيتو، وهو حيّ أو حارة يعيش فيها اليهود

بشكل معزول عن بقيّة أفراد المجتمع في الدّول التي يقطنون بها، كما روّجوا أيضًا أنّ الحركة تمثّل فرصة حقيقيّة لتحرير اليهود من حياة المنفى والشّتات وتضع حداً لاضطهادهم، وتؤسس لبداية استقرارهم. وهذا يعني أنّ الصهيونيّة تمثّل امتدادًا لفكرة الخلاص اليهودي الواردة في التّوراة. (الكعبير، 2013).

وبذلك، فإنّ الصهيونيّة، إلى جانب استخدامها للنّصوص الدّينيّة بشكل يُناسب أهدافها، فإنّها عملت أيضًا على استخدام ظرفيّة اجتماعيّة يعيشها اليهود من أجل تسويق أهدافها، واتّخذت هذه الظرفيّة منطلقًا آخر لبناء منظومتها الفكريّة، متجاهلة أنّ السّبب في ظروف حياة اليهود هذه، يعود بشكل أساسي إلى سلوك اليهود أنفسهم ورفضهم الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها. (حسن م.، 2024)

2. معاداة السّاميّة Anti-Semitism

اُستُخدم مصطلح معاداة السّاميّة لأوّل مرّة عام 1879 من الصّحفي وليام مار (Wilhelm Marr)، وذلك لتمييز الحركة المُضادّة لليهود. وتشير دائرة المعارف اليهوديّة في تعريف مصطلح معاداة السّاميّة بأنّه مُستخدم منذ نهاية القرن التّاسع عشر للإشارة إلى أيّ حركة منظّمة ضدّ اليهود، أو أيّ شكل آخر من أشكال العداء لهم. ويعني المصطلح كراهية اليهود بشكل عام، سواء من يدينون باليهوديّة أو ينحدرون من أُصول يهوديّة. حيث نشأت جماعة أو جمعيّة معاداة السّاميّة بعدما تمكّنت من جمع 255 ألف توقيع للمطالبة بطرد اليهود، كما قامت مظاهرات عدّة في بعض المدن الألمانيّة مؤيّدة لهذا الاتّجاه.

وقد بدأت الصهيونيّة بتوظيف هذا المصطلح لتحقيق مصالحها، بعدما اتّخذت القيادات الصهيونيّة من ظاهرة معاداة السّاميّة ذريعة لفصل الجماعات اليهوديّة في أوروبا عن المجتمعات المسيحيّة التي كانت تعيش بينها، وطوّرت على أساسها الفكرة القوميّة الموجّهة لإنشاء ما يُسمّى بالوطن القومي لليهود. (حسن م.، 2024)

2.1.6 أشكال الصهيونيّة

تشير الدّراسة في سياق معالجة مفهوم الصهيونيّة، إلى وجود العديد من أشكال الصهيونيّة التي ارتبطت بمفاهيم محدّدة النّطاق لظرفيّة معيّنة، وتشعَّبت عن المفهوم الأساس المُجرّد. ونُسلّط الضّوء في هذا الجانب من الدراسة على أبرز هذه الأشكال في إطار السّعي لتقديم صورة مُتكاملة حول المفهوم الأساسي العام، واشتقاقاته أو تفرّعاته ذات الدّلالات المُحدّدة.

1. الصهيونيّة المسيحيّة

نظرة محدّدة تجاه اليهود ظهرت في أوروبا، خصوصًا في الأوساط الإنجيليّة البروتستانتيّة في إنجلترا ابتداءً من أواخر القرن السّادس عشر، وتعتبرهم ليسوا جزءًا من التّشكيل الحضاري الغربي يتمتّعون بالحقوق والواجبات نفسها، وإنّما تنظر إليهم باعتبارهم شعبًا مختارًا وطنه المُقدّس في فلسطين، ولذا يجب أن يُهجّر إليها. وقد استمرّ هذا التّيّار المُنادي بتوطين اليهود في فلسطين، حتّى بعد أن تراجع الحماس الدّيني الذي صاحب حركة الإصلاح الدّيني. وأشرنا سابقًا إلى أنّ المنطلق الأساسي لهذه الفكرة هو الإيمان بفكرة الألفيّة. (مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، 2023)

2. صهيونيّة الأغيار أو غير اليهود

ظهر هذا الشّكل من الصهيونيّة مع تزايد معدّلات العولمة في المجتمعات الغربيّة، حيث ظهرت نزعات ومفاهيم صهيونيّة في أوساط الفلاسفة والمفكّرين السّياسيّين والأُدباء غير اليهود، تُنادي بإعادة توطين اليهود في فلسطين باعتبارهم شعبًا منبوذًا تربطه بها علاقة مُستندة لأسباب تاريخيّة وسياسيّة. (مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، 2023)

3. الصهيونيّة العمليّة

وهو تيّار ظهر قبل ظهور هرتزل، ويُعرف أيضًا بالصهيونيّة التّسلّليّة، ودعا إلى ضرورة العمل على تنظيم هجرة يهوديّة مُكثّفة إلى فلسطين، وتنظيم الاستيطان اليهودي فيها، وإقامة المؤسّسات لتنظيم خطط

الهجرة والاستيطان دون انتظار لصدور تصريح أو ترخيص. وينطلق هذا التيار في دعوته إلى أنّ فرض الوقائع في الميدان، ستكون الدافع الوحيد لإيجاد مُقترحات جادّة للحلول التي تضع حداً لمعاناة ومشاكل اليهود في أوروبا. (ناؤور، 1996)

4. الصهيونيّة الثّقافيّة

وهي تيّار رأى أنّ تحقيق النّهضة الوطنيّة للشّعب اليهودي يكون من خلال إنشاء مركز ثقافي في أرض فلسطين، ومركز تعليمي ليهود الشّتات، واللّذين سيكونان معًا حصناً ضدّ خطر الاندماج والذّوبان الذي يُهدّد وجود اليهود أمام قوّة وصخب التّغيير الذي يحصل في أوروبا بعد الثّورة على الكنيسة. (مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، 2023)

5. الصهيونيّة التّصحيحيّة

وهي ذاتها الصهيونيّة التّنقيحيّة أو المُراجعة، وتمثّل تيّاراً داخل المُنظّمة الصهيونيّة، يهدف إلى تصحيح أو مُراجعة السّياسة الصهيونيّة بشكلٍ عام. كما أنها تمثِّل تعبيراً عن محاولة بعض الصهاينة من شرق أوروبا المُشبّعة بالفكر الاشتراكي؛ طرْحَ الهيمنةِ العمّاليّةِ على عمليّات الاستيطان من جهة، وهيمنة الصهاينة اللّيبراليّين على النّشاط الدّبلوماسي من جهةٍ أخرى. (ناؤور، 1996)

ويتّضح من خلال التّفسير والتّعريف المنوط بكلّ تشعّب أو تفرّع أو شكل من أشكال الصهيونيّة، أنّ الأمر يكون مرتبطًا بتفصيلات محدّدة مرتبطة بجوانب معيّنة في الفكرة الصهيونيّة بشكل عام، وأنّه لا يوجد تعارض أو تناقض معها، حتّى تلك التي تُعرّف نفسها بالتّصحيح أو المُراجعة، فهي مثل سواها تسعى لتحقيق الكمال أو المثاليّة للفكرة، وليس نقضها. ويتّضح هذا الأمر في الصهيونيّة التّوفيقيّة، التي تنصّ على أنّ كلّ التّيّارات مُتكاملة فيما بينها، ويَسهل التّوفيق بينها، بما أنّ الهدف الأساسي محلّ إجماع. (مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، 2023)

2.1.7 العلاقة الجدليّة بين الصهيونيّة كحركة واليهوديّة كدين

تُعتَبر العلاقة بين الصهيونيّة التي تدّعي العلمانيّة والطّابع القومي من جهة، والديانة اليهوديّة من جهة أخرى، واحدة من أكثر الجدليّات التي واكبت مسيرة الحركة الصهيونيّة ولا تزال قائمة حتّى الآن. فقد رفضت عدَّة جماعات وتيّارات يهوديّة، الفكرة الصهيونيّة وناهضتها منذ الدعوة إلى عقد مؤتمر بازل، كونها تُناقض النّصوص التّوراتيّة والتّراث اليهودي، فيما لم تجد الحركة الصهيونيّة محدّدًا مشتركًا بين أفراد "الشّعب المزعوم" لإقامة وطن لهم، باستثناء كونهم يهود الدّيانة. وعند هذه الجزئية بالتحديد، تأخذ الجدلية مسارها كمحدد ثابت للعلاقة بين التيارين اليهوديَّين.

وفي هذا الإطار تستعرض الدّراسة شكل ومسار العلاقة بين الدّيانة اليهوديّة من جهة، والصهيونيّة بشكل عام من جهة أُخرى، والتي يمكن إجمالها في بُعدين أساسيّين على النّحو التّالي:

البُعد الأوّل: العداء والمُناهضة

عُقد أوّل مؤتمر صهيوني عام 1897، وأرسى أُسس الحركة الصهيونيّة، وكان أوّل أهدافها إنشاء وطن قومي لليهود. وأثارت قرارات هذا المؤتمر عاصفة هوجاء من الجدل والمُعارضة، وتُصنَّف المُعارضة إلى شقّين أساسيّين: (كوهين، د.ت)

الأوّل: مُعارضة على أُسس دينيّة، مردُّها إلى التّعاليم والمُعتقدات التّوراتيّة التي تنصّ على أنّ أعظم أُمنيات اليهود بجمع شتاتهم وإقامة دولتهم، منوط بظهور المسيح، وأنّ الصهيونيّة تعمل ضدّ التّوراة وضدّ الدّين.

أمَّا الثّاني: فهو مُعارضةٌ على أُسس سياسيّة ظاهريّة، تدعو يهود العالم إلى ضرورة الاندماج في البلدان التي يعيشون فيها، حتّى لا يكونوا موضع شكّ وريبة من هذه الدّول، عند دعوتهم لإنشاء وطن قومي

لهم. ونشير هنا إلى أن الأسس السياسية هي ظاهرية فقط، لأن التعاليم اليهودية تلزم اليهود في منفـــاهم بالاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها. وبالتالي فإن الدعوةَ سياسيةٌ في أبعادها وليس في خلفياتها.

وتُسلّط الدّراسة في هذا السياق الضّوء على المُعارضة الدينيّة للصهيونيّة، والتّحوّلات التي طرأت علـــى هذه المُعارضة في المراحل اللّاحقة لمؤتمر بازل، في إطار فهم علاقة الصهيونيّة بالدّين اليهودي.

حيث تجدر الإشارة إلى أنّ مساعي الحركة الصهيونيّة منذ بداياتها الأُولى في مؤتمر (بازل 1897)، لم تكن قد حسمت أمرها بشكلٍ قاطع أن فلسطين هي مكان إقامة الوطن القومي لليهود، بل عملـــت علـــى إيجاد مجال حيوي لهذا الغرض، يعني أرضًا تخضع للسّيادة الغربيّة في أيّ مكان فـــي العـــالم لإقامـــة الوطن المنشود، وقد برزت أفكار مشاريع لإقامة هذا الوطن في الأرجنتين، وقبرص، وسيناء، وأوغندا، كما أنّ هرتزل ذاته حاول الحصول على تنازلات عن أقاليم في الموزمبيـــق والكونغـــو. (Garaudy, 1998)وبالطّبع، فإنّ ظهور هذه الخيارات من حيث المبدأ يعني انتهاكًا صارخًا لثوابت الدّين اليهـــودي والتّعاليم التّوراتيّة التي تنص أن مكان إقامة مملكة اليهود عند عودة الماشيح، سيكون في فلسطين التـــي تمثل الأرض المقدسة، وهذا أحد أسباب موقف هيئة الحاخامات الألمان بمهاجمة ومعارضة عقد المؤتمر الصهيوني الأوّل، الأمر الذي أدّى إلى نقل مقرّ انعقاده من ألمانيا إلى سويسرا.

وقد تم استعراض سلسلة من الأحداث والمواقف التي حدّدت شكل العلاقة بين الصهيونيّة واليهوديّة فـــي البدايات، مثل مؤتمر مونتريال 1897، ورفض اللّجنة اليهوديّة الأمريكيّة للصهيونيّة وهـــدفها المُتمثّـــل بإقامة وطن قومي لليهود، وإنشاء منظّمة أجودات إسرائيل، التي رفضت الصهيونيّة جملةً وتفصيلًا، كما تأسّس في بولندا، إحدى أكبر معاقل اليهود، مجلس كبار علماء التّوراة، الذي اعتبر الصهيونيّة خروجًـــا على الدّين اليهودي، حيث جاء في أسفار العهد القديم:

(استيقظي، استيقظي، البسي عزّك يا صهيون، البسي ثياب جمالك يا أورشليم، المدينة المُقدّسة، لأنّـــه لا يعود يدخلك فيما بعد أغلف أو نجس، انتفضي من التّراب، قومي اجلسي يا أورشليم، انحلي مـــن رُبُـــطِ

عنقكِ أيّتها المُسبيّة ابنة صهيون، فإنّه هكذا قال الرّب: مجّانًا بُعتُم، وبلا فضّة تُفَكُّون). (إشعياء 52: آية 1-3)

(واطلبوا سلام المدينة التي سُبِيتُم إليها، وصلّوا لأجلها إلى الرّب، لأنّه بسلامها يكون لكم سلام). (إرميا 29: آية 7)

(وأمّا بيت يهوذا، فأرحمهم وأُخلّصهم بالرّب إلههم، ولا أُخلّصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان. (هوشع 1: آية 7). (لا بالقُدرة ولا بالقوّة، بل بروحي، قال ربُّ الجنود. (زكريا 4: آية 6)

وكلّها ذات معانٍ صارمة تُفيد بأنّ العودة إلى الأرض المُقدّسة، ووضع حدّ للشّتات، إنّما يكون بمشيئة إلهيّة ودون حرب أو تدخّل من اليهود أنفسهم، بل إنّها تحمل أيضًا معنى وجوب تقبُّل حياة الشّتات والعيش بسلام في البلدان التي يُقيمون فيها. (تقي الدين، 2018)

ويُضاف إلى ذلك ما ورد في التّلمود، بأنّه يجب على اليهود ألّا يتمرّدوا على غير اليهود الذين يعيشون عندهم، وألّا يُهاجروا إلى فلسطين هجرة جماعيّة قبل مجيء الماشيح، وعدم الإلحاح في صلواتهم من أجل قدوم الماشيح. (شاحاك و ميزفينيسكي، 2004)

إذًا، هي نصوص دينيّة واضحة، تلك التي ضربتها الصهيونيّة بعرض الحائط في مسارها الهادف إلى إقامة وطن قومي لليهود وفق رؤية قوميّة علمانيّة، رغم أنّ القوميّة المزعومة ليس فيها من مُقوّماتها إلّا المُعتقد الديني، وهو بذات الوقت يمثل أصل الخلاف.

واستناداً إلى ما تقدَّم، يتّضح جليًّا أنّ حجم العداء اليهودي والمُناهضة للصهيونيّة إنّما يقومان على أُسس ونصوصٍ ومعتقداتٍ دينيّةٍ ثابتة لا يُنكرها حتّى الصهاينة اليهود أنفسهم.

البُعد الثّاني: الاستخدام والتّوظيف

إنّ كلّ فكرة إنسانيّة تظلّ مُهدَّدة بالجمود أو الاندثار ما لم تحظَ بالقبول، وتتوفر لها عوامل ومُبرّرات البقاء والدّيمومة والنّجاح. ولعلّ الصهيونيّة واحدة من أكثر الأفكار في التّاريخ المُعاصر التي واجهت خطر الموت في المهد، نظرًا لحجم العداء الذي واجهته من الفئة التي تدّعي أنّها قائمة بالأساس من أجل تحقيق مصالحهم، ووضع حدّ لشَتاتهم واضطهادهم، وإقامة وطنٍ قوميّ لهم، وهذا العداء مَبعثه مُعتقدات دينيّة، أي أنّ فرص نجاح أيّ فكرة أمامه تكاد تكون معدومة.

لكن الذي حصل في التّجربة الصهيونيّة يُعاند المنطق، إذ نجحت الحركة الصهيونيّة في مراحل لاحقة لإنشائها بالعمل على استخدام وتوظيف العامل الدّيني لتسهيل مهمّتها بين الأوساط الدّينيّة المُعادية لها (حسن م.، 1981). كما نجحت في استقطاب الجزء الأكبر من الجماعات المُناهضة لها، وهذا الأمر يُعزى بشكل أساسي إلى الدّعم الغربي للصهيونيّة وتأويل التّفسير للنّصوص الدّينيّة، كما سنُوضّح تاليًا.

بدعة تتمثّل في جعل الدّين أداة للسّياسة، بإضفاء القداسة عليها من خلال قراءة انتقائيّة لنصّ مُنزّل (Garaudy, 2019). هكذا نبدأ فهم بُعدٍ آخر لشكل علاقة الصهيونيّة بالدّين اليهودي، حيث أنّ هرتزل، مُؤسّس الحركة الصهيونيّة، أعلن بوضوح أنّه لا يخضع لأيّ وازع ديني، لكنّه أمام مُعارضة المُتديّنين اليهود أصبح يَعي أهميّة الأسطورة الجبّارة في سبيل التّعبئة لصالح فكرته، حيث حوّل أسطورة العودة، إلى واقع تاريخي يُفضي إلى أنّ فلسطين هي وطن اليهود التاريخيّ الذي لا يُنسى (Garaudy, 2019). وقد شكّل هذا النّهج لدى هرتزل أسلوبًا ناجعًا في استقطاب العديد من المُعارضين له حتّى داخل الحركة الصهيونيّة، وممّن شاركوا في مؤتمرها الأوّل عام 1897.

كما أنّ صدور وعد بلفور عام 1917، والعمل على تفسيره بأنّه جزء من مشيئة ووعد الرّب لبني إسرائيل ببدء العودة إلى أرض الميعاد، كان له أثر كبير على مُناهضي الصهيونيّة، وكان سببًا في حدوث انشقاق داخل إحدى أهمّ الجماعات المُعادية لها، وهي حركة أجودات إسرائيل.

وبذلك، فقد نجحت القراءة السّياسيّة للتّوراة، التي تجعلها أداة طيّعة لأهواء مُؤسّسي ومنظّري الصهيونيّة السّياسيّة، على حساب القراءة الرّوحانيّة التي تُفضي إلى أنّ هدف اليهوديّة ليس هدفًا سياسيًّا ولا قوميًّا، بل هدف روحي يتحقّق بظهور الماشيح، وإقامة مملكة الرّب على الأرض (Garaudy, 2019).

وتجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أنّه رغم إيمان هرتزل بأنّ التّاريخ يسير وفق مشيئة القوّة، لا مشيئة الرّوح، وفضلاً عن استخدامه لنصوص التّوراة وتأويله لتفسيراتها وتوظيفه للثوابت اليهوديّة، إلّا أنّ ذلك لم يكن كفيلًا بنجاح الفكرة الصهيونيّة وتحقيق أهدافها واستقطاب العديد من الأفراد والجماعات المُناهضين لها، إذ أن قدرة الصهيونية على فرض نفسها كقوّة مُهيمنة، كان مستبعداً وموضع شكٍ كبير، إلا أن الفضل يعود إلى الأُمم المُتّحدة، واستغلال الصّراعات الدّوليّة القائمة، والدّعم اللامحدود من الولايات المتّحدة الأمريكيّة (Garaudy, 2019).

وخلاصة القول، نصل إلى أنّ الصهيونيّة نجحت في توظيف نصوص التّوراة، واستدراج الأسطورة في حياة اليهودي، كما نجحت بدعم غربي إمبريالي في تحويل الوهم إلى حقيقة، والأسطورة إلى تاريخ، والعدم إلى وجود، والكيان المُصطنع إلى حقيقة قائمة.

ولا بدّ من الإشارة في سياق دراسة العلاقة الجدليّة بين الصهيونيّة والدّين اليهودي، إلى أنّ هذه العلاقة لا تَستنفد و تَختزل نفسها في الشّكل التّقليدي لها القائم على العداء بين الجماعات الأرثوذكسيّة من جهة، والصهاينة العلمانيّين من جهة أُخرى، حيث إنّ ظهور ما يمكن تسميته "البراغماتيّة الدّينيّة"، وهو ما يُشير إلى المجموعات أو الجماعات والحركات التي حاولت الجمع بين الدّين اليهودي والصهيونيّة، والتي تُعرف اليوم بالصهيونيّة الدّينيّة، أدّى إلى فهم ديني مُختلف عن الفهم الأرثوذكسي التّقليدي، حيث يقوم على أنّ إنشاء أو قيام "الكيان الإسرائيلي" هو ظاهرة تاريخيّة طبيعية بعد ألفي عام من الشّتات والمنفى والعبوديّة، ولم ترَ أنّ العمل الصهيوني يرتبط بالضّرورة بالتّنكر للدّين (زريق، 2020).

في هذا الإطار، يمكن وضع مُحدّدات أكثر وضوحًا لتطوّر العلاقة بين الصهيونيّة كحركة، والدّين اليهودي، حيث أن القُدرات والإمكانات الاقتصاديّة التي سُخِّرت لصالح الحركة الصهيونيّة من قِبل القوى الإمبرياليّة العالميّة، بالتّزامن مع دعم سياسي لا محدود، كانت تلعب دورًا حاسمًا في تبنّي الجماعات الدّينيّة المُناهضة للصهيونيّة خيارات أكثر اعتدالًا تُساهم في التّقارب مع الصهيونيّة، والتّعاطي بإيجابيّة مع أهدافها، شريطة عدم المساس بالثّوابت الدّينيّة في النّظام الاجتماعي الخاصّ بالجماعة ذاتها، ونُشير بهذا الصّدد إلى حركة أجودات إسرائيل، التي طالبت بالحفاظ على نفسها كحركة مُنعزلة داخل الدّولة، مع الالتزام بعدم قيامها بأيّ نشاط مُناهض (زريق، 2020).

وتستنتج الدّراسة أنّ مُجمل التّطوّرات التي طرأت على شكل العلاقة بين الجماعات والحركات الدّينيّة من جهة، والحركة الصهيونيّة من جهة أُخرى، كانت تصبّ في خدمة الصهيونيّة ومشروعها وأهدافها. وإذا كان لهذا الأمر أسبابه ودوافعه الموضوعيّة، فإنّ ذلك لا يعني أنّ التّحوّل في مواقف الجماعات الدّينيّة كان نتاج فهم عميق للفلسفة الصهيونيّة، إنّما ذا أبعاد مصلحيّة أو نتيجة ضُغوطات من المُمكن أن تُودي وجوديًّا بهذه الجماعات.

2.2 مناهضة الصهيونيّة

شكّل مؤتمر بازل 1897 منعطفًا مهمًّا في التّاريخ اليهودي على صعيد العلاقات بين التيّارات اليهوديّة المختلفة داخل إطار الدّيانة اليهوديّة، حيث مثّل التّعامل مع اليهوديّة كقوميّة، ومحاولة تجريدها من الأبعاد والأسس الرّوحانيّة وفصلها عن كونها رسالة إلهيّة لبني إسرائيل، أساسًا قويًّا لمناهضتها، وعدم الاعتراف بأيّ شرعيّة لها، وإسقاط عنها أيّ صفة تمثيليّة لليهود.

ونستعرض في هذا الجزء من الدّراسة خارطة أهمّ الجماعات الدّينيّة اليهوديّة التي عارضت الصهيونيّة ورفضت مقرّرات ونتائج مؤتمر بازل، وتزامن ظهورها أو إنشاؤها مع القرار بعقد المؤتمر، وصولا إلى إعلان قيام دولة الكيان الإسرائيلي. كما نسلّط الضّوء على الحركات اليهوديّة التي نشأت وتأسّست

بعد قيام دولة الكيان، واتّخذت مسارًا مناهضًا للفكر الصهيوني وسياساته ومشروعه ونتائجه وفي مقدمتها دولة الكيان الإسرائيلي، حتّى في أوج مرحلة السّلام بين إسرائيل ومنظّمة التّحرير الفلسطينيّة، حيث لم تتوقّف إسرائيل عن سياساتها الاستيطانيّة وممارسة العنف ضدّ الشّعب الفلسطيني.

2.2.1 الجماعات اليهوديّة المناهضة للصهيونيّة السّياسيّة منذ نشوئها حتّى قيام دولة الكيان الإسرائيلي

تشير هذه الدّراسة إلى أنّ بدايات الصهيونيّة شهدت مناهضة وعداء شديدين من أوساط اليهود، بل إنّ السّمة العامّة لليهود كانت رفض الصهيونيّة لدوافع وأسباب دينيّة. لكنّ الرّفض اليهودي للصهيونيّة لم يكن منظّمًا بالشّكل الذي كانت الصهيونيّة نفسها منظّمة به، فقد تنوّعت الجماعات، واختلفت مُسمّياتها وتجمّعاتها وأماكن تواجدها، وفي كثير من المراحل الزّمنيّة كانت تشهد خلافات حادّة وانشقاقات كبيرة، تقوم على اعتبارات مختلفة بين الحاخامات أحيانًا، ومواقف وتفسيرات دينيّة أحيانًا أُخرى.

وفي هذا السياق يجب الإشارة أنّ جزءًا منها التحق بركب الصهيونيّة وأصبح أحد مكوّناتها، فيما جزء آخر حافظ على معارضته لفكرة الدّولة، لكنّه تعامل معها أمرًا واقعًا. والجزء الأخير هو الذي بقي معارضًا، معاديًا للصهيونيّة ولدولة إسرائيل، بوصفها كيانًا من إنتاج الحركة الصهيونيّة.

وبناء عليه، فإنّ مجتمع المتديّنين اليهود ينقسم إلى فريقين: يُطلق على أحدهما "التيّار الحريدي"، ويمثّل مجموعة من اليهود الأرثوذوكس الذين رفضوا الصهيونيّة وإقامة الدّولة، والفريق الآخر هو "التيّار الدّيني الصهيوني القومي"، الذي تقبّل الصهيونيّة باعتبارها خطوة أُولى لخلاص اليهود (تقي الدين، 2018).

وتستعرض الدّراسة فيما يلي أبرز الجماعات الدّينيّة اليهوديّة الرّافضة للصهيونيّة منذ نشوئها حتّى إعلان قيام دولة الكيان الإسرائيلي:

1. الحركة الحسيديّة (Hasidim Movement)

هي إحدى الحركات اليهوديّة الكبرى، وقد أعطت التّعبّد والتّأمّلات أهمّيّة أكبر من تعلّم ودراسة التّلمود والتّوراة، لذلك فقد أحدثت الحركة انقلابًا في التّراث اليهودي (تقي الدّين، 2018).

وقد نشأت هذه الحركة في منتصف القرن الثّامن عشر من اليهود الأرثوذكس، على يد اليهودي إسرائيل بن اليعازر (Yisroel ben Eliezer) الملقب بـ(بعل شيم توف)، كردّ فعل على الحياة التي كان يعيشها الحاخامات اليهود في تلك الحقبة الزّمنيّة، حيث كانوا يعيشون حياة مُترفة خاصّة بهم، ويتفرّغون لدراسة التّلمود وإصدار تفسيرات وتأويلات جدليّة لنصوصه، فيما كان عامّة اليهود يعيشون حياة الضّغط والكبت، ولا يستطيعون التّعبير عن آرائهم واحتياجاتهم (حسن ج.، 1994).

وتقوم أهمّ مُعتقدات الحسيديم على مساواة جميع البشر أمام الله، وإرساء قيم الإخاء والوئام، وأنّ الخلاص ليهود العالم لن يتحقّق إلّا بالمزيد من الأفعال الصّالحة من العباد، حتّى يعود الرّب من منفاه الاختياري ويُخلّص اليهود (تقي الدين، 2018).

ووفق التّعاليم الحسيديّة، فإنّ وظيفة كلّ إنسان هي جعل العالم ونفسه صالحين أمام الرّب، حيث إنّ في كلّ إنسان قوّة إلهيّة يُمكنه إفسادها من خلال استخدامها بطريقة خاطئة (بوبر، 2015).

ورغم أنّ لفلسطين مكانة تتعاظم لدى الحركة الحسيديّة عنها لدى الطّوائف اليهوديّة الأُخرى، بسبب انتظارهم قدوم (الماشيح) المُخلّص أكثر من غيرهم، وحلم الألفيّة الذي يعيشون فيه، وأنّ فلسطين ستكون مسرحًا لهذه الأحداث، إلّا أنّ الحركة اتّخذت موقفًا رافضًا للصهيونيّة ودعوتها لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وأخذت تُعيد النّظر في الهجرة إلى فلسطين، حيث إنّها كانت تنظر لهذه الهجرة على أنّها لغرض التّعبّد والتّقرّب إلى الله، وليس من أجل إقامة وطن.

وقد ظهرت العديد من الحركات والجماعات التي أفرزتها الحركة الحسيديّة، إلّا أنّ قلّة منها بقي ثابتًا على مبادئ الرفض والعداء للصهيونيّة والوطن النّاتج عنها، ومنها من قَبِل بالوضع الرّاهن (وجود دولة الكيان الإسرائيلئ)، وفضّل التّواجد داخل هذا الكيان للأغراض التّبشيريّة (تقي الدين، 2018).

2. حركة حبد (Habad Movement)

وهي من أكبر الفروع الرّئيسيّة للحركة الحسيديّة الأُم، تأسّست في نهايات القرن الثّامن عشر، وتميّزت عن الحركة الأُم بأنّها جعلت للعقل دورًا أكبر في الإيمان والتّقرّب إلى الله، بدلًا من التّأمّل والتّعبّد فقط (حسن ج.، 1994).

ولم تبتعد مواقف حركة حَبَد عن الحركة الحسيديّة الأُم تجاه الحركة الصهيونيّة، فظلّ الرّفض هو السّلوك الوحيد والموقف العام للحركة، ورفض الهجرة على أساس إقامة وطن قومي. إلّا أنّ هذا الموقف بدأ بالتحوّل التّدريجي عن مناهضة الصهيونيّة في العقدين الأخيرين من عمر زعيمهم الأخير مناحم مندل شنيرسون (Menachem Mendel Schneerson)، الذي تُوفي عام 1994، من خلال التوجه إلى التّعامل مع دولة الكيان الإسرائيلي على أنّها دولة أمرٍ واقعٍ يجب قبوله، وإنها تمثّل مبادرة من الإله لخلاص اليهود.

ووصل الأمر إلى أن أصبح لهذه الحركة مؤسّسات ومستعمرات داخل الدّولة، وتُنادي حكّام الكيان الإسرائيلي بضرورة تعزيز الاستيطان في أراضي الضّفّة الغربيّة أو يهودا والسّامرة وفق تعبيرهم ورؤيتهم (تقي الدين، 2018).

3. حركة ساطمر (Satmar Movement)

إحدى حركات التيّار الحسيدي التي تمخّضت عن الحركة الحسيديّة الأُم في منتصف القرن التّاسع عشر، على يد الحاخام موشيه تيتلباوم (Teitelbaum Moshe)، وهي من أكثر الحركات اليهوديّة

الأرثوذكسيّة تشدّدًا في العقيدة اليهوديّة، وأفرادها مُنغلقون على أنفسهم، ويرفضون المشاركة في الحياة العامّة (هيمان، 2011).

وتجدر الإشارة إلى علاقتهم بحركة حَبَد التي تتسم بالمناهضة والعداء المتبادل، إلى حدّ يصل أحياناً لقيام كلّ منهما بتكفير الأخرى وإخراجها من الدّين بسبب مواقف متناقضة دينياً. وحركة ساطمر لا تزال على مواقف ثابتة من الحركة الصهيونيّة، إذ ترفض كلّ ما نادت به ودعت إليه هذه الحركة، وكلّ من حالفها وانخرط في العمل معها، ووافق على أفكارها.

وبالرّغم من أنّ حركة ساطمر لا تُحرّم الهجرة الفرديّة إلى دولة الكيان الإسرائيلي، إلّا أنّها تشترط عدم التّعامل مع أيّ من مؤسّسات دولة الكيان، حيث إنّها رفضت إنشائها، وعملت على منع هذا الأمر منذ بدايات الحركة الصهيونيّة. وكلّ أتباعها الموجودين في الكيان الإسرائيلي يُقاطعون المؤسّسات الرّسميّة كافة بكلّ أشكالها، ولا يُشاركون في الانتخابات، ولا يتقلّدون وظائف، ولا يحملون جواز سفر، بل إنّهم في يوم عيدهم يقومون بحرق علم دولة الكيان الإسرائيلي.

لكن هذا الموقف لا يعني بأيّ شكل أنّ الحركة مُتعاطفة مع العرب أو مع الحقّ الفلسطيني، بل إنّ لهم مواقف عدائيّة ضدّ العرب، ويرون أنّهم يُدنّسون الأرض المُقدّسة، وقد أيّدوا العمل الإرهابي الذي قام به الإرهابي باروخ جولدشتاين (Baruch Goldstein)، حين قتل عددًا كبيرًا من المُصلّين في الحرم الإبراهيمي في الخليل وقت صلاة الفجر (تقي الدين، 2018).

الطائفة السامريَّة (The Samaritans)

إحدى أقدم الطوائف اليهوديّة التي تعيش في فلسطين، وهي طائفة صغيرة العدد، تعيش على قمّة جبل جرزيم في مدينة نابلس، وبعضهم يعيش في مدينة حولون في الأراضي المحتلّة عام 1948. ويُسمّون بهذا الاسم نسبةً إلى السامرة وهو الاسم القديم لمدينة نابلس، التي كانت عاصمة مملكة إسرائيل بعد وفاة سليمان، وقبل قدوم العبرانيين أو اليهود إلى أرض فلسطين (ظاظا، 1971).

ويتناقض السامريّون مع الفكرة الصّهيونيّة من حيث المبدأ، حيث إنّ الصّهيونيّة تقوم على تقديس جبل صهيون في القدس، فيما يعتبرونه هم أنّه قاعدة الكفر، وبالنّسبة لهم فإنّ جبل جرزيم جبلٌ مقدّس، ويؤمنون بعودة الماشيح إليه، وليس إلى القدس. (تقي الدين، 2018) وبناء على ذلك تسقط الفكرة الصّهيونيّة جملةً وتفصيلًا بالنسبة لهم، وكلّ ما ترتّب أو بُني عليها. كما أنّ علاقاتهم بغيرهم من اليهود تتّسم بالعدائيّة؛ لأنّ كلّ طرف يُنكر الآخر، ويدّعي أنّه الممثّل الحقيقي للدّيانة اليهوديّة (تقي الدين، 2018).

ويتبنّى السامريّون موقفًا حازمًا من المشروع الصّهيوني برمّته، حيث يُكفّرون كلّ من يتمسّك بمبادئ الحركة الصهيونيّة، ويعود هذا الموقف إلى أُسسٍ عقائديّة بحتة. على الجانب الآخر، تربطهم علاقات جيّدة للغاية مع العرب عبر التّاريخ، حيث ساندوا المسلمين أثناء الفتح الإسلامي ضدّ الرّومان وضدّ الحملات الصليبيّة، ويتّفقون مع المسلمين في العديد من المعتقدات الدينية مثل التّوحيد، والكثير من الطّقوس مثل الوضوء، والطّهارة، والرّكوع، والسّجود في الصّلاة، وغيرها (تقي الدين، 2018).

جماعة ناطوري كارتا (Neturei Karta)

ظهرت جماعة ناطوري كارتا كحركة منشقّة عن حركة أغودات إسرائيل عام 1935، بعد إجراء مفاوضات بين أغودات إسرائيل والحركة الصهيونيّة وبدء حدوث تقارب بينهما، حيث تمسّك أعضاء ناطوري كارتا بموقفهم الرّافض والمعادي للحركة الصهيونيّة، وفقًا لمرتكزات دينيّة بحتة.

وتقوم عقيدة الحركة على عدم الاعتراف بالصهيونيّة، ومقاطعة دولة الكيان الإسرائيلي بشكل نهائي، حيث ترى الحركة نفسها امتدادًا للتّراث والتّقاليد اليهوديّة، وتلتزم التّعاليم الدينيّة بشكل كامل، الأمر الذي تُناقضه الصهيونيّة جملةً وتفصيلًا، وبالتالي فهي خروجٌ على الدّين اليهودي، لذا تعتبرها مؤامرة شيطانيّة على الدّيانة (ماضي، 1999).

كما تتبنّى الحركة فكرة تحرير كلّ الأرض الفلسطينيّة، على قاعدة أنّ دولة الكيان هي قوّة احتلال، وليست وطنًا ليهود العالم، ويجب تفكيكها بطرق سلميّة دون سفك دماء. كما أنّ الشّعب اليهودي، وفقًا لمعتقدات الحركة، يُمثّل فكرة ذات مفهوم ديني، وليس شعبًا بالمعنى المتعارف عليه، ولذا فإنّه يُمنع من المشاركة في أيّ سلطة دنيويّة، وعلى اليهود أن يتركوا أمر السّلطة والحكم للدّولة التي يعيشون في كنفها (المسيري، 2022).

2.2.2 الجماعات اليهوديّة المناهضة للصهيونيّة بعد إنشاء (الكيان الإسرائيلي)

وفي إطار استعراض الحركات والجماعات المناهضة للصهيونيّة، تجدر الإشارة إلى وجود العديد من الجماعات التي، وإن لم تُعلن رفضها أو مناهضتها للحركة الصّهيونيّة بشكل صريح، فإنّ مواقفها التي ترفض الاحتلال، وتُنادي بحقوق الشّعب الفلسطيني، وترفض سياسات دولة الكيان الإسرائيلي تجاه الفلسطينيّين، تُجسّد بوضوح رفضها الكامل لمبادئ الحركة الصهيونيّة، التي تقوم على اقتلاع الفلسطيني من أرضه بكلّ السّبل، بما فيها الطّرد، والقتل، والإبادة، وحتّى التّطهير العرقي واحتلال الأرض وإقامة وطن يهود العالم عليها (Pappe, 2011).

وقد أخذت هذه الجماعات بالظّهور والتّكوّن في نهايات القرن العشرين، بعد إمعان الكيان الإسرائيلي في سياساته وإجراءاته ضدّ الشّعب الفلسطيني، واستمرار سياسة الاستيلاء على الأراضي الفلسطينيّة، رغم توقيع اتّفاقيّة سلام مع منظّمة التّحرير الفلسطينيّة. ويأتي نشوؤها في إطار سعي روّادها وأعضائها للتّأثير على الرّأي العام العالمي، والنّخب الحاكمة في العالم، لوضع حدّ للسّياسات الإسرائيليّة، حيث إنّها تُمثّل مواجهةً قيميّةً، وإنسانيّةً، وحقوقيّةً، للعالم أجمع. وأبرز هذه الحركات:

1. الصوت اليهودي من أجل السلام (JVP)

هي منظّمة جماهيريّة متعدّدة الثّقافات، تسعى لتعزيز السّلام، والعدالة، والمساواة، لكلا الطّرفين، الإسرائيلي والفلسطيني. ورغم أنّها لا تُعارض وجود إسرائيل بشكل مباشر، إلّا أنّها تُندّد

باحتلال الأراضي الفلسطينيّة، وتدعو إلى إيجاد حلّ عادل ومستدام، يحترم حقوق وكرامة جميع سكّان المنطقة.

وقد تأسّست "الصوت اليهودي من أجل السّلام" عام 1996، في منطقة خليج سان فرانسيسكو، على يد ناشطين مناهضين للاحتلال الإسرائيلي، ومنهم توني كوشنر (Tony Kushner) ونعوم تشومسكي (Noam Chomsky).

وتُعلن المنظّمة أنّ لها نحو 12 فرعًا في الجامعات، حيث يعمل الأعضاء بشكل وثيق مع فرع الطّلاب المناهض للاحتلال (طلّاب من أجل العدالة في فلسطين) (SJP)، لتعزيز الفعّاليّات والمبادرات ذات الطّابع المناهض للاحتلال.

ولا بد من الإشارة إلى موقف الحركة عقب العدوان الإسرائيلي عام 2023 على غزّة، حيث أصدرت JVP بيانًا تُطالب فيه الحكومة الأمريكيّة باتّخاذ إجراءات فوريّة لسحب الدّعم العسكري الموجه لدولة الكيان الإسرائيلي، ومحاسبتها على انتهاكات حقوق الإنسان، وجرائم الحرب ضدّ الشّعب الفلسطيني. (موقع TRT بالعربي، 2023)

2. "إذا لم يكن الآن" (If Not Now)

هي حركة شبابيّة يهوديّة أمريكيّة، تهدف إلى إنهاء الدّعم الذي يُقدّمه مجتمعهم للاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينيّة، وللصّراع الأوسع بين الإسرائيليّين والفلسطينيّين.

تأسّست هذه المنظّمة كردّ فعل على الحرب في غزّة عام 2014، وقد شاركت في عدد من الحملات، بما في ذلك انتقاد المساعدات العسكريّة الأمريكيّة لإسرائيل.

تهدف الحركة إلى تحدّي الوضع القائم داخل المجتمع اليهودي الأمريكي، وتعزيز النّقاشات حول العدالة والمساواة في المنطقة، من خلال تنظيم مسيرات مناهضة لإسرائيل بعد الاعتداءات الإسرائيليّة الأخيرة.

وقد قام نشطاء إذا لم يكن الآن، بتنظيم اعتصامات أمام مكاتب القادة السّياسيّين، بما في ذلك كامالا هاريس نائبة الرّئيس الأمريكي السّابق جو بايدن، وكانوا جزءًا من المظاهرات المناهضة لإسرائيل، التي تجري في واشنطن العاصمة.

وتُركّز الحركة بشكل عام على انتهاكات حقوق الإنسان التي تعتبر أنّ دولة الكيان الإسرائيلي ترتكبها في غزّة، منذ بداية معارك أكتوبر 2023، وتضغط من أجل تحقيق وقف لإطلاق النّار بشكل دائم بين دولة الكيان وحماس. (موقع TRT بالعربي، 2023)

يهود من أجل العدالة للفلسطينيين (JfJfP)

تُعتبر منظّمة يهود من أجل العدالة للفلسطينيّين، التي تتّخذ من المملكة المتّحدة مقرًّا لها، تجمّعًا للأفراد اليهود، الذين يُطالبون بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينيّة. تدعم هذه المنظّمة السّلام العادل والدّائم، الذي يشمل حقوق وأمن كلٍّ من الإسرائيليّين والفلسطينيّين. كما تؤكّد المنظّمة على أهمّيّة التّفاعل مع المجتمع اليهودي بشكلٍ أوسع، وتعزيز الحوار حول تعقيدات الصّراع.

تأسّست المنظّمة في 17 فبراير/شباط 2002، وتُنادي بضرورة إقامة دولة فلسطينيّة على حدود 1967/6/4، وعاصمتها القدس الشّرقيّة، وتُدين العنف الذي تُمارسه دولة الكيان، كما تعمل على بناء اتّحاد معارضة قوي للجماعات اليهوديّة المناهضة للسّياسات الإسرائيليّة في جميع أنحاء العالم. (Newman, 2025).

3. الشبكة الدّولية لليهود المعارضين للصّهيونيّة (IJAN)

وهي شبكة دوليّة، تلتزم التزامًا مطلقًا بالنّضال من أجل حياة الإنسان وحريّته، وتعتبر حرّيّة الشّعب الفلسطيني واستعادة أرضه وعودة اللاجئين، جزءًا أساسيًّا من أهدافها ضدّ الصهيونيّة ودولة الكيان الإسرائيلي. وترى الشّبكة أنّ الحركة الصهيونيّة استخدمت تاريخ الاضطهاد للشّعب اليهودي، لتبرير ما

لا يمكن تبريره من احتلالٍ لأرض فلسطين التّاريخيّة، والتّطهير العرقي للشّعب الفلسطيني، وتدمير المجتمع، وسرقة الثّروات، والحضارة، والتّاريخ.

وتنشر الشّبكة نشاطها في العديد من دول العالم، مثل الولايات المتّحدة، والمملكة المتّحدة، وكندا، وفرنسا، وإسبانيا، والأرجنتين. وتنظّم الشّبكة فعّاليّات ونشاطات دوريّة ضدّ الاحتلال الإسرائيلي في كلّ أماكن تواجدها، وقد كثّفت من نشاطاتها خلال الحرب الحاليّة على قطاع غزّة (منذ أكتوبر 2023).

كما تتبنّى الشّبكة نظريّة، أنّ الحركة الصهيونيّة هي حركة عنصريّة نشأت في القرن التّاسع عشر تحت وطأة النّزعة الإمبرياليّة الأوروبيّة، واكتسبت جذورها الفكريّة من هذا الإطار الهادف إلى السّيطرة على مقدّرات وثروات دول العالم، دون اكتراث بمصير السّكّان الأصليّين، وثقافاتهم، وحضاراتهم (Official Website of IJAN, 2014).

وفي ختام هذا الفصل، يُلاحظ أنّ الفضاء الذي نشأت فيه الصهيونيّة منذ عام 1897، لم يكن مواتيًا لنجاح فكرة تُناقض كلّ الأُسس والمعتقدات الدّينيّة للفئة التي تدّعي أنّها وُجدت لأجل تحقيق مصالحها، وتخليصها من الظّلم والاضطهاد الذي تُعانيه على مرّ سنوات طويلة، ووضع حدّ لشتاتهم في الأرض.

بل إنّ الظّروف المصاحبة لهذه الفكرة، كانت كفيلة بالقضاء عليها في مهدها بشكل موضوعي، لكنّ الذي حصل من نجاحٍ لها، واستمرارها، وديمومتها، بل وقدرتها على استقطاب أو تحييد جزء كبير من أعدائها ومناهضيها من داخل مجتمع أهدافها، يُؤكّد أنّها لم تكن وليدة المعاناة ليهود العالم فحسب، بل إنّ قوىً كبرى ذات نفوذٍ وهيمنة، قامت بقيادتها وتوجيهها وعملت على دعمها حتى أرست قواعد ومبادئ وجودها كقوة أمرٍ واقع، واستطاعت النّجاة بها من احتمالات السّقوط المبكّر.

ولا بد من التأكيد أن الحركة الصّهيونية كانت منذ بدايتها واحدة من المصالح المشتركة الكبرى، التي لم تتوانَ عن تسخير كلّ شيء وتعصف بكل القيم، وأوّلها الإنسانيّة، من أجل تحقيق أهدافها الاستراتيجيّة، مهما بلغت الأثمان والتّبعات.

وبرغم كلّ نجاحٍ حقّقته هذه القوى وأدواتها، إلّا أنّها لا تزال عاجزة عن القضاء التّام على الظّروف التي نشأت فيها دولة الكيان الإسرائيلي، ويزداد عجزها في محاولات تجميل صورة هذا الكيان، الذي تُؤكّد كلّ الدّراسات الموضوعيّة، حتّى من المفكّرين اليهود أنفسهم، أنّه كيان وظيفي كامل الأركان.

ولعلّ هذا ما يُفسّر بوضوح اليوم، ظهور جماعات وحركات من صُلب يهود العالم، وفي قلب المجتمعات التي شكّلت حِصن الدّفاع عن الصهاينة منذ بدايات حركتهم، يرفضون الرّؤية الصهيونيّة، وسياستها، وأهدافها، وأدواتها، ويدخلون في صدامات مباشرة مع قوّات الأمن في بلدانهم، ويتعرّضون لشتى أشكال انتهاك حقوق الإنسان، والاعتداءات الجسديّة، والنّفسيّة، والمعنويّة، ومنهم من تعرّض للفصل من جامعته أو وظيفته، وفق تقارير حقوقيّة وإعلامية متعدّدة.

وهذه تغيّرات، صغُرت أو عظُمت، فإنّها تُشكّل تحوّلًا مهمًّا في الرّأي العام في دولٍ داعمةٍ وحاضنةٍ تاريخيًّا للمشروع الصهيوني.

الفصل الثّالث

المدخل النَّظري لجماعة ناطوري كارتا (حراس المدينة)

3.1 تمهيد

نستعرض في هذا الفصل إحدى أهمّ الجماعات المحافِظَة على منطلقاتها ومبادئها، وأهدافها التي تسعى لتحقيقها تجاه الحركة الصهيونية والمشروع الصهيوني برمّته. حيث نسلّط الضوء على تاريخ وظروف نشأتها، وأصول ودلالات التسمية، وأُسسها الفكريّة، وعلاقتها مع الحركة الصهيونية، وأهمّ روّادها. كما نستعرض موقفها من القضيّة الفلسطينيّة، وعلاقاتها مع المكوّنات السياسيّة والقيادة الفلسطينيّة، ورؤيتها للقضايا الأساسيّة للشعب الفلسطيني، مثل قضيّتَي القدس واللاجئين.

3.2 المقاربات والدّلالات حول الاسم والمفهوم

يعود أصل هذا الاسم إلى التلمود المقدّس، حيث يسمّي اليهود الذين يتفرّغون لدراسة التوراة: (حُرّاس أسوار المدينة). و(ناطوري كارتا) اسم آرامي يُطلق على جماعة من اليهود المتعصّبين الذين لا يعترفون بدولة الكيان الإسرائيلي، ويرفضون استخدام اللغة العبريّة في غير الشعائر الدينيّة، ويتّهمون الصهيونيّة بالعمل ضدّ قوانين التوراة والشريعة اليهوديّة (مناحيم و افرايم ، 1988).

وأطلق الحاخامات المنشقون عن أغودات إسرائيل، على جماعتهم الجديدة اسم (رابطة الحراسة المقدّسة)، ثمّ تغيّر الاسم إلى (رابطة الحياة)، ثمّ إلى الاسم الحالي (حُرّاس المدينة / ناطوري كارتا)، ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الاسم مرتبط وفق الديانة اليهودية، بالصلاة في دور العبادة وتعليم التوراة للأطفال.

فيما تعرّف الجماعة نفسها اليوم على أنّها مجتمع من الناشطين اليهود في جميع أنحاء العالم، الذين يعزّزون اليهوديّة التقليديّة في معارضة فلسفة الصهيونيّة على أساس ديني، وتُعارض وجود دولة الكيان

الإسرائيلي، واحتلال فلسطين، وتدين الحروب المستمرّة لهذه الدولة وفظائعها داخل فلسطين وخارجها (Official website of Neturei Karta, N.D).

وفي الإطار المفاهيمي المعاصر، فإنّ ناطوري كارتا هي جماعة يهوديّة حريديّة من اليهود الأُرثوذكس المتشدّدين في الالتزام بالنصوص الدينيّة والمتزمّتين في تفسيرها، لا تزال ثابتة على معاداة ومناهضة الحركة الصهيونيّة وكل إفرازاتها ونتائجها، وأهمّها دولة الكيان الإسرائيلي، استنادًا إلى أُسس دينيّة، وتُؤيّد وتدعم حقّ الشعب الفلسطيني في التحرّر والاستقلال التام، وتدعو لتفكيك دولة الكيان بالطرق السلميّة.

وتُعتبر ناطوري كارتا من أهمّ جماعات اليهود الأُرثوذكس، التي تقوم على المعتقد اليهوديّ التقليدي بأنّ التوراة الحقيقيّة هي الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدّس العبري: التكوين، والخروج، واللاويّين، والعدد، والتثنية، التي أُنزلت حرفيًّا على موسى حين كلّمه الله على جبل سيناء، وترفض كلّ المحاولات النقديّة التّي تدّعي حدوث تدخلات بشريّة في نصوص الكتاب المقدّس (Shah, 2021).

3.3 تاريخ نشأة الجماعة

تشير هذه الدراسة إلى حجم المناهضة والعداء الذي واجه الحركة الصهيونيّة منذ مؤتمر بازل 1897، وقد كانت حركة أغودات إسرائيل التي أُنشئت عام 1912 كحركة مناهضة للصهيونيّة، ورافضة لمبادئها وفلسفتها وأفكارها وأهدافها، من أهم الحركات التي قامت على هذه الأسس. إلّا أنّها تحوّلت من حالة العداء للصهيونيّة إلى الحوار والتفاوض معها، من أجل إنشاء حاخاميّة رئيسيّة موحّدة في فلسطين، وهذا التحوّل قاد إلى انشقاق جماعة عن هذه الحركة عام 1935، تُصرّ على رفض الحركة الصهيونيّة أو الحوار معها لأي سبب وتحت أي ظرف.

وفي إطار استعراض الوضع الحالي للجماعة ونسبة عدد أعضائها أعداد اليهود في العالم، تؤكد الجماعة أنّ عدد أعضائها حالياً يزيد على نصف مليون نسمة خارج (إسرائيل)، مع عشرات الآلاف في

الداخل. (ماضي، 1999). وفي سياق البحث حول تاريخ ونشأة ناطوري كارتا، تُسلّط الدراسة الضوء على وجود عدّة جماعات يهوديّة تحمل هذا الاسم، ولا تختلف عن بعضها إلّا برقم صندوق البريد. (الشامي، 1994).

حيث إنّ حاخامات الجيل المؤسّس لهذه الجماعة أنشأوا أكثر من جماعة دينيّة، وكلٌّ منها تدّعي أنّها الجماعة الحقيقيّة، فقد سيطر الحاخام أهارون كاتزينلبوجين (Aharon Katzenelbogen) على الحركة الأم، ومقرّها المركزي في حيّ مائة شعاريم في القدس، وهي الجماعة المعروفة عند العرب بسبب مواقفها السياسيّة من القضيّة الفلسطينيّة. كما شكّل الحاخام أوري عميرام بلوي (Uri Amiram Bluey) جماعة أُخرى بنفس الاسم، وتسود بينها وبين الحركة الأُولى كراهيّة وعداوة تصل حدّ الاشتباك بالأيدي (الشامي، 1994).

كذلك تزعم جماعة ذُرّيّة أهارون الحسيديّة، أنّها بمفاهيمها تُمثّل ناطوري كارتا الحقيقيّة، من خلال ممارستها العزلة والمظاهرات ومعارضة الدولة الصهيونيّة، وهذه هي أكبر الجماعات من حيث العدد. وهناك أيضًا جماعة المنفيّين، التي انفصلت عن الطائفة الحسيديّة، وسكن أفرادها حيّ مائة شعاريم، ويدّعون أنّهم ناطوري كارتا الحقيقيّة. ويُضاف إلى هذه الجماعات، جماعة ليبلة فايسبيش (Leibele Weisfisch)، الذي يُعتبر من قادة ناطوري كارتا التاريخيّين (الشامي، 1994).

لكنّ كلّ هذه التّشكيلات المختلفة، التي تحمل نفس الاسم ولم تستطع التوحّد معًا في جسم واحد، لا تزال جميعها تشترك في قاعدة فكريّة وعقائديّة واحدة، هي رفض الصهيونيّة وعدائها، ورفض الاعتراف بالدولة الصهيونيّة أو التعامل معها، وبالتالي فإنّ خلافاتهم ليست أيديولوجيّة أو عقائديّة بأيّ حال من الأحوال، حتى وإن كانت خلافات بين الحاخامات على تفسيرات دينية معينة، إلا أنها لا ترقى لمستوى التكفير أو الخروج على الدين.

3.4 الأسس الفكريَّة والدّينيَّة لجماعة ناطوري كارتا

يتجلّى بوضوح أنّ الأُسس التي تستند عليها جماعة ناطوري كارتا هي أُسس عقائديّة دينيّة وفكريّة، مردّها إلى التوراة والشريعة اليهوديّة. وتستعرض الدراسة تاليًا أهمّ هذه الأُسس (Lamm, 1971):

1. السكون الدّيني وجعله منبع اليهوديّة

ويعني أنّ الله وحده القادر على التصرّف بمصير اليهود، وأنّ إرادة الله تتجلّى بعودة (الماشيح)، وعودته ستُحدث تغيّرات كونيّة لا جدال فيها، وليس لعودته أيّ دلالة سياسيّة، وأنّ الإيمان بغير ذلك مجرّد إلحاد وهرطقة. وهذا الأساس يدحض ويرفض أيّ فكرة تقوم على التدخّل البشري لتحديد مصير اليهود، سواء بإقامة دولة تجمعهم على أيّ أرض، أو إلغاء حالة المنفى التي يعيشونها، أو سيطرتهم بالقوّة على أيّ من الشعوب في العالم.

2. ارتباط الإحياء الوطني لليهود في آخر الزمان، بالنّهضة الروحيّة لهم

أي إنّه حتّى لو عاد الماشيح، فإنّ خلاص اليهود لن يتحقّق إلّا بالتوبة والعودة الدينيّة الجماعيّة إلى الله، وإنكار هذا التسلسل يعني إنكارًا للمسيح نفسه. والصهيونيّة بفلسفتها، تُمثّل مصدرًا للإلحاد وتستنزف الدين وتحرّف تفسيراته ونصوصه.

3. التّقوى طريق الخلاص

حيث لن يتحقّق الخلاص عن طريق الصهاينة وفكرهم القومي المزعوم، وإنشاء (الكيان الإسرائيلي)، لأنّهم قائمون بالأساس على أُسس علمانيّة تتنكّر للدين اليهودي وتحرّف الوعد الإلهي لليهود، وبالتالي فإنّ الفكر والفلسفة الصهيونيّة لن تكون طريقًا لتحقيق الخلاص.

4. الدّيمقراطيّة تنافي الفكر الدّيني لدوله الخلاص

حيث ترفض اليهوديّة فكرة الديمقراطيّة، وترى أنّها تصلح للطوائف السياسيّة غير اليهوديّة. أمّا دولة اليهود (مملكة إسرائيل في آخر الزمان)، فهي محكومة بالشريعة اليهوديّة. وهذا ما تُناقضه الصهيونيّة فكرًا ونهجًا.

5. الفداء الإلهي وسلبيّة الإنسان

استنادًا إلى النصوص التوراتيّة، يعني ذلك أنّ الله وحده سيفتدي اليهود بطريقة خارقة للطبيعة وخارجة عن العادة، مُظهرًا بذلك قوّته. وهذا الفداء يأتي من أجل تخليص اليهود من خطاياهم حيث أن الطبيعة البشريّة التي تميل إلى الخطيئة والشرّ. (موقع الجزيرة نت، 2023). وبناء عليه فإن قيام دولة الكيان الإسرائيلي يمثل تناقضاً مع النصوص التوراتية وخروجاً صريحاً عليها.

6. تسلسل الفداء

تُؤمن ناطوري كارتا أنّ الأرض المقدّسة مُنحت لليهود ليسكنوها بشرط إقامة الشرائع التوراتيّة، وعندما أخلّوا بهذا الشرط، فقدوا الحقّ فيها، وفُرض عليهم الشتات، وأقسموا على احترام تبعيّتهم للبلدان التي ذهبوا إليها، وعلى عدم إقامة بلد موحّد يجمعهم في أيّ مكان. وتقول الجماعة إنّ هذا القسم متسلسل إلى المستقبل حتّى عودة الماشيح، وإنّ إنكار هذا التسلسل يعني إنكار الماشيح نفسه. (سعيد، 2017). والتسلسل يعني بدء اليهود بالعودة إلى الله وتأدية العبادات والقيام بالأعمال الصالحة والتزام وصايا الرب. (موقع الجزيرة نت، 2023) واستنادا على ذلك، فإن استمرار وجود دولة الكيان الصهيوني، يعني البقاء في عصر الخطايا وعدم العودة إلى الله.

يُلاحظ ممّا سبق أنّ الأُسس الفكريّة التي تُمثّل الباعث الأساسي لنهج وثوابت الحركة، ومنطلقًا لسلوكها ونشاطها، هي قواعد وتفسيرات راسخة، بل ومتشدّدة جدًّا في الفهم للدين والشريعة اليهوديّة، ولا تقبل فيه الجماعة أيّ تأويل أو تحريف، سواء للنصوص أو التفسيرات. وبناءً عليه، فإنّ الانفكاك عنها أو

تحييدها، يعني بالضرورة، مخالفة للدين اليهودي برُمّته، حيث إنّها قواعد مُرتبطة بمشيئة وتدبير الــرب لليهود وشؤونهم، ويُحرَّم التدخّل فيها أو التعدّي عليها، لأنّ ذلك يعني إنكــارًا صــريحًا لإرادة الــرب ومشيئته، وهذا ما تقوم به الصهيونيّة من وجهة نظر جماعة ناطوري كارتا.

وتُقدّم ناطوري كارتا رؤية مُستنيرة من خلال أُسسها الفكريّة، تقوم علــى أنّ اختيــار الله لليهــود (أي اعتبارهم شعب الله المُختار)، إنّما يأتي كون اليهود أكثر الناس تواضعًا وحُبًّا للسلام، واختيــارهم هــذا يأتي لتجنيدهم من أجل خدمة الجنس البشري كلّه، وليس التعالي على الأُمم والشعوب، وبالتــالي فــإنّ اليهود مُكلَّفون أكثر من غيرهم من سائر البشر، وهنا يكمن اختيار الله لهم، فهو اختيارٌ مُرتبطٌ بالتكليف وليس تفضيلاً طبقياً (تقي الدين، 2018).

وتُؤكّد الجماعة في مبادئها أنّ النظرة العرقيّة التي تُؤمن بها الصهيونيّة، إنّما هي خطيئة كُبــرى تقــوم على الرؤية العنصريّة التي يرفضها الدين اليهودي وتعاليمه ونصوصه، وأنّ عودة الماشــيح ســتكون للناس كافّة، وليس لفئة أو جماعة مُعيّنة، وتَنشر العدل والسلام بين كلّ البشر الذين ستسودهم المشــاعر الروحانيّة عند عودته، ولن يكون حينها صراع سياسي أو أيديولوجي (تقي الدين، 2018).

وإذا كان الدين كما أسلفنا هو الدافع الرئيسي في نشوء الجماعة، فإنّ المُكوّنــات الاجتماعيّــة والثقافيّــة والمواقف السياسيّة للجماعة، وكلّ سلوك فردي أو جمعي لأفرادها، يكون مبنيًّا على ذات الفهم والثوابت والتفسيرات للنصوص الدينيّة، وبالتالي فإنّ الطابع الذي تكتسبه الجماعة هو طابع عدائي بحت للحركــة الصهيونيّة، وهذا ما يُفسّر أيضًا مواقف الحركة وسلوكها تجاه أعداء الصهيونيّة من غير اليهود، حيــث تتّسم هذه المواقف وهذا السلوك بالوُدّيّة والتقارب، وحتّى التحالف في بعض الأحيــان، علــى حســاب الصهاينة من اليهود وغيرهم. كما أنّه يُثبت فرضيّة الدراسة التي تــنصّ علــى أنّ التفســير المُتزمّــت للنصوص الدينيّة يُشكّل أساس الرفض للفكرة الصهيونيّة والمشروع الصهيوني برُمّته، وما يترتّب عليه من نتائج وإفرازات وأهداف.

3.5 علاقة جماعة ناطوري كارتا مع الصّهيونيّة

بات جليًّا أنّ علاقة جماعة ناطوري كارتا مع الصهيونيّة قد اتّخذت مسار العداء المُطلق منذ بدايات الحركة الصهيونيّة، حيث كانت المُناهضة بين صفوف اليهود والجماعات اليهوديّة بشكل عام، والمتديّنين بشكل خاص.

وأخذت حركة العداء والمُناهضة بالتنظيم أكثر مع بدء تشكّل الجماعات والحركات في أُطر مختلفة ومتعدّدة، ومنها بالطبع حركة أغودات إسرائيل التي تأسّست عام 1912، والتي كانت حاضنة لمجموعة الحاخامات الذين انشقّوا عنها عام 1935 لأسباب سبق ذكرها، وقاموا بإنشاء جماعة ناطوري كارتا.

ورغم أنّ أغودات إسرائيل فشلت في مفاوضاتها مع الحركة الصهيونيّة، إلّا أنّ مُجرّد فتح باب الحوار مع الصهيونيّة، كان كافيًا لإحداث الانشقاق والإعلان عن الجماعة الجديدة (ناطوري كارتا). ويبدو موقف الحاخامات المُؤسّسين لناطوري كارتا مُؤشّرًا واضحًا على حجم العداء للحركة الصهيونيّة، فمن يرفض مبدأ الحوار مع جهة بعينها، من منطلق إنكار حقّ هذه الجهة في الوجود من حيث المبدأ والفكرة، يعني أنّه رافض لمنطلقات ودوافع وجودها، وإن كان هذا الوجود حقيقة قائمة.

ونسلّط الضوء في هذا الجزء من الدراسة على أهمّ محدّدات العلاقة بين جماعة ناطوري كارتا والحركة الصهيونيّة، حيث لا بدّ من إطار مُعيّن تدور فيه هذه العلاقة، حتّى وإن اتّسمت بالمواجهة الشاملة والعداء المُطلق، ويكون هذا الإطار هو المُحدّد العام لشكل العلاقة.

وفي حالة ناطوري كارتا والحركة الصهيونيّة، يمكن توضيح محدّدات العلاقة بما يلي:

1. يقول الحاخام ديفيد وايس (Dovid Weiss) الناطق الرسمي باسم الجماعة، إنّ الحركة الصهيونيّة تعتبرنا العدو الذي سيدمّرهم من الداخل (تقي الدين، 2021). وينبع هذا الموقف من فهم الصهيونيّة لمدى خطورة وجود حركة مُناهضة لها من داخل المجتمع اليهودي نفسه، التي تُقدّم نفسها بالأساس مُخلّصًا ومُنقذًا له.

2. الشعب اليهودي ليس شعبًا بالمعنى الذي قدّمته الصهيونيّة، إنّما هو جماعة دينيّة تستمدّ وجودها من ميثاق مع خالقها، وإنّ منزلة الشعب المُختار التي منحها الله لليهود، إنّما هي منزلة من أجل خدمة البشر، وليس للسيطرة أو التعالي عليهم. والصهيونيّة تُقدّم الشعب اليهودي على أنّه وحدة قوميّة أسمى من باقي الشعوب (مهدي، 2012)، وهذا يُشكّل دلالة على انسلاخ الصهيونيّة عن ركن من أركان الديانة اليهوديّة، وبالتالي يقود إلى حتميّة المواجهة.

3. إنّ فكرة إنشاء دولة لليهود خلال المنفى، حتّى لو كانت في أرض فارغة وبطرق سلميّة، تتعارض جوهريًّا مع العقيدة اليهوديّة. (Official website of Neturei Karta). وبالتالي، فإنّ اليهودي الحقيقي يرفض الاستجابة لهذا الأمر، وتقوده عقيدته إلى مناهضته ومواجهته بكلّ الأشكال الممكنة.

4. تقوم الصهيونيّة على تقويض الإيمان التقليدي بالتوراة، المُرتبط بفهم التعاليم الدينيّة ووصايا الرب، وعمدت إلى ابتداع عقيدة يهوديّة جديدة قائمة على التحريف والتأويل. (المدني ، 2007). وهي بذلك تتنكّر للدين والخالق معًا، وهو الأمر الذي لا يمكن قبوله تحت أيّ ظرف، ويفرض المواجهة على قاعدة الكفر والإيمان.

5. اعتراف الجماعة بحقّ الشعب الفلسطيني في الكفاح من أجل استعادة كامل أراضيه التاريخيّة كيفما يشاء. (ماضي، 1999). ويُعتبر هذا المُحدِّد سببًا ونتيجة في آنٍ واحد، فهو نتيجة طبيعيّة لرفض جماعة ناطوري كارتا لفكرة ونهج الصهيونيّة، وسبب مباشر في تعاظم مسار العداء المتبادل بين الطرفين.

6. تُصدّر ناطوري كارتا للعالم أنّ الصهيونيّة كانت على علاقة حميميّة مع النازيّة، بعكس ما يُشاع من الصهاينة، فقد كانوا وفقًا للجماعة، يتعاونون مع النازيين من أجل القضاء على يهود أوروبا الشرقيّة، الذين كانوا يُمثّلون القاعدة الأكبر التي يستند عليها الرفض اليهودي للصهيونيّة. (تقي الدين، 2018). وبالتالي، دفع ما يتبقّى منهم نحو خيار الهجرة القسريّ إلى فلسطين والاستيطان فيها كسبيل وحيد للنجاة.

تخلُص الدراسة إلى أنّ علاقة جماعة ناطوري كارتا مع الحركة الصهيونيّة قائمة على مجموعة من العناصر التي صاغت معالمها وحدّدت شكلها منذ إنشاء الجماعة عام 1935. وأنّ الرفض للصهيونيّة لم يتوقّف عند مجرّد الرفض النظري، بل إنّ العلاقة تطوّرت لتصل إلى الاعتراف بحقّ الفلسطينيين باستخدام كل السّبل والوسائل في كفاحهم ضدّ (دولة الكيان)، والدعوة لتفكيك هذه الدولة، (تقي الدين، 2018) بعد أن اتّخذت الجماعة موقفًا حازمًا في رفضها ورفض التعامل معها بأيّ شكل من الأشكال.

ولذلك، فقد اتّخذت (دولة الكيان الإسرائيلي) سلسلة من الإجراءات ضدّ جماعة ناطوري كارتا في إطار السعي للحدّ من نشاط الجماعة وكبح جماح أيّ محاولات للتأثير بين اليهود في إسرائيل والعالم، وسيتم تسليط الضوء على هذه الإجراءات لاحقا.

وتستنتج الدراسة أنّ علاقة ناطوري كارتا مع الصهيونيّة ودولة الكيان استمرّت بذات النهج المبدئي الذي قامت عليه الجماعة منذ نشأتها، ويتجسد بالرفض المُطلق والعداء الحادّ الذي يتطوّر ويزداد عمقًا مع مرور الزمن، وهو الشكل الذي يُهيمن على طبيعة العلاقة مع كلّ المؤسّسات والهيئات والمنظّمات الصهيونيّة في العالم، لكنّه يتجلّى بوضوح تامّ في علاقة الجماعة مع دولة الكيان الإسرائيلي.

كما توضح الدراسة أنّ دولة الكيان تُمارس ازدواجيّة واضحة في المعايير بين اليهود أنفسهم، فهي تُطلق العِنان لأتباع الصهيونيّة الدينيّة أو المتديّنين الصهاينة، في كلّ أفعالهم وأقوالهم ونشاطاتهم، وعلى الجانب الآخر تحاول دائمًا إقصاء اليهود والمتديّنين اليهود المناهضين للصهيونيّة عن أيّ مشهد قد يُمكّنهم من تعزيز حضورهم وتوسيع قواعدهم الجماهيريّة أو الفكريّة، ولِهذا دلالةٌ واضحةٌ تُشير إلى زيف الادّعاء بأنّ (الكيان الإسرائيلي) دولة ديمقراطيّة حقيقيّة، ويكشف التشوّهات المُصاب بها هذا الكيان حينما يتعلّق الأمر بمعارضة وجوديّة له حتّى من أتباع الديانة اليهوديّة أنفسهم.

وممّا لا شك فيه أنّ تبعات هذا السلوك تُير دائمًا السؤال حول حقيقة ما إذا كان (الكيان الإسرائيلي) دولة يهود العالم بالفعل، كما ادّعى مُؤسّسوها ويدّعي المُدافعون عنها؟ أم أنّها دولة وظيفيّة بامتياز، تعمل في

دوائر محكومة بمصالح استراتيجيّة للقوى الداعمة لها والحامية لوجودها. وبذلك، فإنّها لا تستطيع تحمّل تبِعات وجود معارضة كبيرة من الداخل وذات تأثير قوي، تستهدف وجودها وتدعو إلى تفكيكها وتُؤيّد حقّ أعدائها بالقضاء عليها.

لتوضيح ذلك، لا بدّ من التّأكيد أن إنشاء دولة الكيان الإسرائيلي يجسّد قيام اليهود بلعب دور العملاء للرّأسمالية الإمبرياليّة الحديثة ومخطّطاتها الهادفة لتوسيع النّفوذ وإحكام السيطرة على موارد ومقدّرات العالم وثرواته. وسيكون اليهود كبش الفداء لهذه السّياسة (دويتشر، 1996).

وفي ذات السياق، تجدر الإشارة إلى أن جزءاً مهماً من المثقّفين والكتّاب اليهود الذين عاشوا في إسرائيل ومنهم من خدم في جيشها، يؤكّدون أن علاقة الدولة مع المعارضة اليهودية للصهيونية، تمثّل تجسيداً واقعياً للديمقراطيةِ المريضة، حيث أن المواطن في دولة الكيان يشعر بالامتنان للسّياسيّين الذين يحكمونه دون إدراك منه أنّ المسافة بين تحوّله إلى عدوّ للدولة هي مجرّد كلمة أو موقف، وحينها سيكتشف زيف الادّعاء بأنّ دولة الكيان الإسرائيلي هي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، وأن وصف إسرائيل بالدّولة الديمقراطية من حيث المبدأ، هو مهزلةٌ وتلاعبٌ بعقول مواطنيها قبل أن يكون بغيرهم (شميش، 1998).

3.6 أهم رواد جماعة ناطوري كارتا

1. الحاخام عميرام بلاو (Amram Blau) 1900 – 1974

انحدر الحاخام بلاو من عائلة تعود أصولها إلى أوروبا الشرقيّة. وفي نهايات العقد السابع من القرن التاسع عشر، انتقلت عائلة والده إلى العيش في مدينة القدس، وولد بلاو فيها عام 1900. تلقّى تعليمه في مدرسة (أوهيل موشيه) الدينيّة في مائة شعاريم، وانضمّ إلى حركة أغودات إسرائيل المناهضة للصهيونيّة في بداية شبابه، ونشط في صفوفها بشكل ملحوظ (Blau, 1963).

وفي إطار نشاطه في صفوف الجماعة، حارب الحاخام الصهيوني أبراهام كـوك (Abraham Isaac Kook) محاربة شديدة، واتّهمه بإفساد الدين اليهودي لأغراض سياسيّة. وعندما دخلت حركة أغـودات إسرائيل بمفاوضات مع الحركة الصهيونيّة، انشقّ مع مجموعة من الحاخامات، وشكّلوا جماعة ناطوري كارتا.

وثمّة رواية أُخرى تُعالج انشقاق (بلاو) عن أغودات إسرائيل، فتدّعي أنّ الانشقاق جـاء نتيجـة قيامـه بالزواج من امرأة فرنسيّة مُطلّقة، وليست يهوديّة بالأساس، وهذا أمر مُحرَّم على الحاخام، إذ يجـب أن يتزوّج من فتاة بكر. لكنّه برّر هذا الزواج من سيّدة مُطلّقة ومُتحوّلة من المسيحيّة، بأنّـه أُصـيب فـي خصيته في حرب 1948، ولذا لا يجوز له إلّا الزواج من سيّدة مُتحوّلة لليهوديّة. (تقي الـدين، 2018). فقد جاء في سفر التثنية: (لا يدخل مخصي بالرَّض أو مَجْبوب في جماعة الربّ) (التثنية، 1:23).

ويُعتبر الحاخام بلاو من أكثر حاخامات وزعماء الجماعة تأثيرًا، لما كان يتمتّع به من كاريزمـا وقـوّة حضور، بالإضافة إلى شجاعته وعدم الخشية من العنف الـذي تُمارسـه أجهـزة الأمـن والشـرطة الإسرائيليّة. (لاندو، 1994). فقد ألقى خطابًا تاريخيًّا عام 1974، خاطب فيه العالم، وقـال إنّ العـالم الذي اعترف بالصهيونيّة ودولة الكيان الإسرائيلي قد وقع في خدعة كُبرى، ودافع فيه عن اليهود غيـر الصهاينة، بالقول إنّهم ضدّ أيّ أذى أو ضرر يقع على العرب، وإنّ العرب أيضًا طـوال تـاريخهم لـم يُلحقوا الأذى باليهود. ودعا في هذا الخطاب إلى القضاء على التجربة الصـهيونيّة ونتائجهـا المُتمثّلـة بـدولة الكيان الإسرائيلي (تقي الدين، 2018).

رحل الحاخام عميرام بلاو عام 1974، تاركًا وراءه إرثًا كبيرًا من العمل ضدّ الصهيونيّة، كمـا خلّـف رحيله فراغًا كبيرًا أيضًا على صعيد الجماعة، أثّر على أنشطتها وزخم عملهـا داخـل دولـة الكيـان الإسرائيلي وخارجها.

2. أهارون كاتزينلبوجين (Aharon Katzenelbogen) 1893–1978

يُعتبر الرجل الثاني في تأسيس الجماعة مع (عميرام بلاو)، وتزعّم الحركة بعد وفاة (بلاو) عام 1974 حتى وفاته في ديسمبر1978، وقد كان له حضور ودور بارز في إرساء نهج العداء والمناهضة للصهيونيّة (Jewish Telegraphic Agency (JTA), 1978).

3. الحاخام موشيه هيرش (Moshe Hirsch) 1924–2010

وُلد موشيه هيرش في نيويورك عام 1924، تلقّى تعليمه في مدرسة لايكوود اليهوديّة. وهاجر إلى دولة الكيان التي يعتبرها أرضًا فلسطينيّة مُحتلّة، وانضمّ إلى جماعة ناطوري كارتا، حيث كان يتبع الحاخام عمرام بلاو (Amram Bloy) والحاخام ليبيل فايسفيش (Leibele Weisfisch)، كما تزوّج من ابنة الحاخام أهارون كاتزينيليوغين (Aharon Katzenelbogen)، أحد مُؤسّسي الجماعة، الأمر الذي أتاح له أن يكون مُؤثّرًا في سياساتها.

عمل هيرش على فتح قنوات التواصل مع القيادات الفلسطينيّة التي تقود الكفاح المسلّح ضدّ دولة الكيان الإسرائيلي، واستطاع أن يبني علاقة مميّزة مع الزعيم (ياسر عرفات) منذ ثمانينيّات القرن العشرين، عندما كان (عرفات) في تونس. وبذلك، فقد أعطى هيرش بُعدًا سياسيًّا لمناهضة الصهيونيّة ورفضها، إضافة إلى البُعد الأيديولوجي الأصيل في فكر ناطوري كارتا، حيث إنّ تواصله مع القيادة السياسيّة للشعب الفلسطيني ترتّب عليه تعيينه مُستشارًا للزعيم الفلسطيني (ياسر عرفات) بعد إنشاء السلطة الفلسطينيّة بموجب اتّفاقيّة أوسلو بين دولة الكيان ومنظّمة التحرير الفلسطينيّة عام 1993 (Baram, 2010).

ورغم رمزيّة هذا التعيين، إلّا أنّ له دلالات كبيرة تُعبّر عن الثقل الذي مثّله (هيرش) في الجماعة من جهة، وعن حجم العداء الذي تكنّه الجماعة للدولة الصهيونيّة. وعند وفاته عام 2010، أعرب رئيس

منظّمة التحرير الفلسطينيّة (محمود عبّاس) عن حزنه لفقدان (هيرش)، وانتدب ممثلًا عنه للمشاركة في جنازته.

ومنذ وفاة الحاخام (موشيه هيرش) عام 2010، يُمكن القول إنّ قيادة الجماعة انتقلت إلى الجيل الثاني من عناصرها، ونسلط الضوء على أبرز شخصيات وقيادات هذا الجيل:

1. **الحاخام إسرائيل مئير هيرش (Israel Meir Hirsch)**

تم اختياره زعيمًا للجماعة في عام 2010 بعد وفاة والده الحاخام موشيه هيرش. يُقيم مئير هيرش في حيّ مائة شعاريم في القدس، ويسير على خُطى والده في بناء علاقات مع أعداء الكيان الإسرائيلي، ويُعتبر من القيادات التي أثّرت بشكل كبير في نهج الجماعة، وذلك بعد قيامه بزيارة إيران عام 2006 برفقة مجموعة من حاخامات الجماعة للمشاركة في مؤتمر لإنكار المحرقة النازيّة ضدّ اليهود (الهولوكوست) (Shavi, 2023).

الحاخام يسرائيل ديفيد وايس (Yisroel Dovid Weiss)

من مواليد العام (1956) في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وهو المتحدّث الرسمي باسم الجماعة، وأحد أبرز قيادتها التي تظهر للإعلام على مستوى العالم للتعبير عن الجماعة ورؤيتها وأفكارها وأيديولوجيّتها وأهدافها واستراتيجيّاتها، ومن أكثر الحاضرين في المؤتمرات والاحتجاجات والمظاهرات المناهضة لإسرائيل في مختلف أنحاء العالم.

كان (وايس) أحد أعضاء وفد جماعة ناطوري كارتا الذين قاموا بزيارة إيران للمشاركة في المؤتمر الدولي لاستعراض الرؤية العالميّة للهولوكوست، الذي يُعتبر على نطاق واسع حدثًا يدعو ويُشجّع على إنكار (الهولوكوست)، رغم أنّ وايس ابن أحد الناجين من الهولوكوست.

يُشار أيضاً إلى قيام (وايس) بزيارة العديد من دول العالم في إطار سعيه لنشر الرسالة المناهضة للصهيونيّة ودولة الكيان الإسرائيلي، لكنّ أهمّ الزيارات كانت التي توجّه فيها إلى لبنان للمشاركة في

مؤتمر خاص بحقّ العودة للاجئين الفلسطينيّين، حيث استضافه (حـزب الله) اللبنـاني، وقـام بزيـارة مخيّمات اللاجئين الفلسطينيّين في لبنان، كما قام بزيارة اليمن وفنـزويلا فـي سـياق ذات الأهـداف. (Odenheimer, 2011).

2. الحاخام موشيه دوف بير بيك (Moshe Dov Ber Beck)

وُلد في بودابست/هنغاريا، وهاجر إلى الكيان الإسرائيلي عام 1948، وعاش في حيّ (بنـي بـراك)، حيث درس الـ(يشيفا)، وهو مصطلح يُشير إلى دراسة التوراة ومختلـف جوانـب دراسـة الشـريعة اليهوديّة، وتُعطي أهميّة كبيرة لدراسة النصوص المقدّسة وتعليم تراث اليهود.

وعلى إثر دراسته، انضمّ إلى جماعة ناطوري كارتا عام 1959، حيث بـدأ يُمـارس نشـاطًا معاديًـا للصهيونيّة ودولة الكيان، ثم هاجر إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة عام 1970، نظرًا لمعارضته الشديدة للفكرة والدولة الصهيونيّة، ورفضه العيش في ظلالها.

تزعّم الجماعة في الولايات المتّحدة، وكان ناشطًا بارزًا جدًّا في كلّ الميـادين والمناسـبات المناهضـة للصهيونيّة، حتّى إنّه لم يتغيّب عن أيّ نشاط كان يُنظَّم في الولايات المتّحدة ضدّ الصهيونيّة أو إسـرائيل وسياساتها، وقد كان من ضمن وفد الحاخامات الذين التقوا الرئيس الإيراني (أحمدي نجاد) عام 2006، على هامش مشاركتهم في المؤتمر الدولي لاستعراض الرؤية العالميّة للهولوكوست. وظلّ (بيـر بيـك) محافظًا على حضوره وتأثيره الدائمَين حتّى تُـوفي وعمـره 87 عامًـا (Yeshiva World News (YWN), 2021).

3. الحاخام ديفيد فليدمان (Dovid Feldman)

المتحدّث باسم جماعة ناطوري كارتا ومسؤول العلاقات الخارجيّـة فيهـا، ويتـولّى تنظـيم الأنشـطة والمحاضرات والمظاهرات العامّة المناهضة للصهيونيّة في أوروبا، وذلك بهدف نشر الوعي بأخطـار الصهيونيّة وتحريفها لليهوديّة. كما أنّه يُشارك في المناسبات والمؤتمرات الدوليّـة، مُعبّـرًا عـن رؤى

الجماعة وصلواتها المُستمرّة من أجل السلام والعيش المُشترك بين اليهود والفلسطينيّين تحت حُكم دولة عربيّة فلسطينيّة (سعيد، 2017).

3.7 جماعة (ناطوري كارتا) والقضيَّة الفلسطينيَّة

تشير الدراسة إلى أنّ موقف الجماعة من الصهيونيّة وإفرازها الأساسي المتمثّل بدولة الكيان الإسرائيلي، كان الرفض المُطلق والعداء الدائم، ومن الأسباب التي استعرضتها الدراسة في هذا الموقف للجماعة، أنّ الدين اليهودي يُحرّم التدخل البشري في قيام مملكة إسرائيل، وأنّه يحثّ اليهود على خدمة الشعوب ومساعدتهم، وليس السيطرة عليهم. وتناولت الدراسة بعض النصوص التوراتيّة التي تُعدّ أساسًا ومرجعًا ثابتًا للجماعة في موقفها من الحركة الصهيونيّة.

من هذا المنطلق، يبدأ موقف جماعة ناطوري كارتا بالتبلور من القضيّة الفلسطينيّة بكلّ مكوّناتها وامتداداتها وعبر تاريخها منذ احتلال الأراضي الفلسطينيّة. ونسلّط الضوء في هذا الجانب من الدراسة على هذا الموقف وأبعاده وخلفيّاته، وطبيعة العلاقة مع الفواعل الرسميّة وغير الرسميّة في الشعب الفلسطيني، كما نرصد مواقف الجماعة من أهمّ القضايا الرئيسيّة في القضيّة الفلسطينيّة مثل قضيّتَي القدس واللاجئين.

3.7.1 موقف جماعة (ناطوري كارتا) من الشَّعب الفلسطيني واحتلال أرض فلسطين

تُعلن الجماعة موقفًا ثابتًا منذ نشأتها، مفاده أنّ اليهود، منذ شتاتهم الذي كان عقابًا على خطاياهم ومخالفتهم وصايا الربّ، يجب أن يعيشوا بتواضع وسلام مع جميع الأمم، لأنّ النفي نتيجة قوى ميتافيزيقيّة، لا يُمكن إصلاحه بالقوّة أو المساعي السياسيّة أو أيّ وسيلة دنيويّة أخرى. وبالتالي، فإنّ اعتداءهم على الأراضي الفلسطينيّة إنّما يُشكّل سلوكًا عدوانيًّا وحشيًّا، لا يُمكن تبريره أمام أيّ حجّة أو ادّعاء.

وتؤكد الجماعة أنّ السيادة على الأراضي المقدّسة يجب أن تكون لمن عاشوا فيها لقرون، وهم بالتأكيد الفلسطينيّون، وهم أصحاب القرار الكامل بالسماح لبعض التجمّعات اليهوديّة العيش بينهم بسلام، وهذا ليس قرارًا يهوديًّا بأيّ شكل وحال. أمّا بعد مجيء الماشيح، فإنّ ما يتعلّق بالحقوق السياسيّة سيُصبح أمرًا بلا قيمة، كون جميع البشر سيتشاركون معًا في عبادة ربّهم بمحبّة وسلام ودون تمييز (Official website of Neturei Karta, N.D).

كما أعلنت ناطوري كارتا، إبّان مشاركتها في مؤتمر الأزهر لنُصرة القدس عام 2018، أنّه ليس لهؤلاء الصهاينة ثَمّة حقوق أو سيادة ولو على ذرّة تراب من كلّ أراضي فلسطين، وأنّ سيطرتهم على فلسطين بقوّة السلاح تُناقض أحكام التوراة بصورة مُطلقة، ولا سيّما أنّ تلك السيطرة قد جاءت على حساب السكّان المسلمين، سكّان تلك الأرض المُقدّسة منذ ما يُقارب من 1500 عام (بوابة الأزهر، 2018).

ويُشكّل هذا الأساس الثابت في عقيدة وفكر جماعة ناطوري كارتا، منطلقًا رئيسيًّا في صياغة مواقفهم الرافضة لاحتلال أرض فلسطين من جهة، ودعوتهم الدائمة لإنهاء الاحتلال بكلّ الوسائل وتفكيك دولة الكيان الإسرائيلي.

وتجدر الإشارة إلى رفض الجماعة الحلول التي يُمكن أن تقود إلى دولتَين (فلسطين وإسرائيل)، وتُؤكّد أنّ أيّ حلّ يجب أن يتضمّن إعادة جميع الأراضي التي سرقها الصهاينة عام 1948، حيث إنّ ناطوري كارتا غداة إعلان قيام دولة الكيان الإسرائيلي عام 1948، أرسلت رسالة إلى الأمم المتّحدة تتضمّن رفضها هذا الإعلان ورفض قيام دولة لليهود من حيث المبدأ بهذه الطريقة (موقع الجزيرة نت، 2023).

كما يُعدّ هذا الأساس مُحدّدًا مهمًّا في توجيه سلوك الجماعة تجاه الشعب الفلسطيني وقياداته، وكلّ مكوّنات المجتمع الفلسطيني في مختلف المراحل، بالإضافة لكونه عاملًا رئيسيًّا في سياسة الجماعة على الصعيد الخارجي، لا سيّما مع الدول العربيّة والإسلاميّة، وفي كلّ المناسبات التي يتاح للحركة التعبير

عن مواقفها فيها، سواء داخل دولة الكيان أو أيّ مكان يتواجد فيه أعضاؤها وأنصارها، وبصرف النظر عمّا إذا كان في مناسبة رسميّة أو شعبيّة أو تظاهرات جماهيريّة.

بالإضافة إلى ذلك، تُؤكّد الجماعة موقفها من الشعب الفلسطيني بصفته صاحب الحقّ بالأرض، وتُؤكد الجماعة أنّ اليهود كانوا يعيشون بسلام في كنف الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ولم يُقدِموا على أيّ اعتداء، كما أنّهم لم يتعرّضوا لأيّ أذى في أيّ مرحلة من مراحل عيشهم على أرض فلسطين، حتّى في عهد الانتداب البريطاني، لم يكونوا عرضة لسوء (تقي الدين، 2018).

3.7.2 علاقة جماعة (ناطوري كارتا) بالقيادة الفلسطينيَّة

إنّ المواقف العدائيّة الصريحة لجماعة ناطوري كارتا من الحركة الصهيونيّة ودولة الكيان الإسرائيلي، تُلزمها من الناحية العمليّة بنهج على الأرض يُثبت صلابة هذه المواقف وصدقها أمام جماهيرها والعالم أجمع. وكون الجماعة تُعلن العداء للصهيونيّة والرفض لدولة الكيان، فإنّ التواصل وبناء علاقات مع الجهة التي دفعت ثمن ما أنتجته الصهيونيّة بشكل عملي وواقعي واحتُلّت أرضها وهُجّر شعبها، يُعتبر أمرًا بالغ الأهميّة والتأثير والتأكيد على صدق وصلابة الرواية التي تتبنّاها الجماعة، وتكريس مواقفها في عقيدة الأجيال المتعاقبة بين أعضائها، بالإضافة إلى تحقيق عدم الاستقرار المجتمعي داخل الكيان الإسرائيلي، والسعي الدؤوب لحشد الطاقات البشريّة ومحاولة التأثير على القوى الدينيّة والمجتمعيّة والسياسيّة المؤيّدة للدولة والحركة الصهيونيّة برمّتها.

هكذا يُمكن فهم وتفسير سعي الحاخام موشيه هيرش، منذ تزعّمه الجماعة عام 1978 بعد وفاة الحاخام أهارون كاتزينلبوجين، إلى التواصل مع قيادة منظّمة التحرير الفلسطينيّة، التي كانت تتبنّى الكفاح المسلّح ضدّ الاحتلال الإسرائيلي. ورغم عدم توفّر الكثير من المعلومات عن مضمون وكيفيّة وآليّات ووسائل هذا التواصل الذي بدأ إبّان تواجد المنظّمة في تونس في ثمانينيّات القرن العشرين، سواء في أدبيّات الجماعة أو عند الباحثين والمهتمّين أو حتّى في وسائل الإعلام، إلّا أنّه أدّى بالفعل إلى بناء

علاقة قويّة مع الزعيم (ياسر عرفات) رئيس المنظّمة والعدو الأوّل لدولة الكيان الإسرائيلي في تلك المرحلة الزمنيّة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض وسائل الإعلام تُشير إلى بدء هذا التواصل بعد احتلال الكيان الإسرائيلي لأراضي الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة عام 1967 (السومرية نيوز، 2023).

وأيّما كانت الفترة الزمنيّة التي بدأ فيها التواصل مع الجهة الممثّلة للشعب الفلسطيني والإطار الجامع لقيادته وتفاصيل إجراء هذا التواصل، إلّا أنّه يُقدّم صورة توضّح أنّ الجماعة اتّخذت خطوات مُتقدّمة في العلاقة مع قيادة الشعب الفلسطيني، سيّما وأنّ زعيم الجماعة موشيه هيرش، قد تسلّم منصبًا في الحكومة الفلسطينيّة بعد اتّفاق أوسلو وإنشاء السلطة الفلسطينيّة، ورغم رمزيّة المنصب التي تفوق واقعيّته، إلّا أنّ هذا السلوك من القيادة الفلسطينيّة شكّل دلالة أخرى على تطوّر العلاقة مع الجماعة ومدى الاهتمام بها، ويُشار أيضًا إلى خطاب أرسله الزعيم (ياسر عرفات) بتاريخ 2003/4/23، يُشيد فيه بجهود جماعة ناطوري كارتا ومواقفهم التي توضّح للعالم أنّ المشكلة الحقيقيّة هي مع الصهيونيّة والصهاينة وعدوانيّتهم، وليست مع اليهود الذين عاشوا مع العرب والمسلمين سنوات طويلة بأمن وسلام.

كما أنّ قيادة الجماعة، بعد وفاة ياسر عرفات سنة 2004، وفوز حركة حماس في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني سنة 2006، أعلنت الولاء للنظام الجديد، ثم قام موشيه هيرش بزيارة مقرّ المجلس التشريعي في رام الله للتعبير عن دعمه الكامل لهم، كما أنّ هذه الزيارة جاءت للتأكيد على أنّ أبناء هذه الجماعة اليهوديّة، هم فلسطينيّون يعيشون تحت احتلال دولة الكيان الإسرائيلي مثل كلّ مكوّنات الشعب الفلسطيني، وليسوا جزءًا من المنظومة الصهيونيّة، وهي لا تُمثّلهم أساسًا.

وتُشير الدراسة أيضًا إلى أنّ الجماعة شاركت بممثّل عنها في مؤتمر مدريد للسلام عام 1991 ضمن الوفد الفلسطيني (تقي الدين، 2018). كما شاركت في قافلة تحيا فلسطين الثانية في منتصف عام 2009، وقابل أربعة أعضاء منهم حركة حماس ورئيسها في قطاع غزة إسماعيل هنيّة، وأكّدوا على

ثبات موقفهم الرافض لاحتلال الأراضي الفلسطينية وتهجير سكانها وكل السياسات التي تنتهجها دولة الكيان ضد أبناء الشعب الفلسطيني خاصة في قطاع غزة، وقد وجه هنيّة الشكر لجماعة ناطوري كارتا على مواقفها، وقال إنّ حركة حماس ليست ضدّ اليهود، ولكنها ضدّ الاحتلال الإسرائيلي القائم على الصهيونيّة.

وعند وفاة (هيرش) عام 2010، أوفد رئيس السلطة الفلسطينيّة (محمود عبّاس) ممثّلًا للمشاركة في مراسم جنازته، وأعلن أنّ القضيّة الفلسطينيّة قد خسرت داعمًا قويًّا لها وللشعب الفلسطيني (السومرية نيوز، 2023).

وتُشير صحيفة (The Jerusalem Post) على موقعها الرسمي إلى زيارة وفد من حاخامات الجماعة إلى مخيّم جنين للاجئين، ولقائهم مسؤولين كبارًا في حركة الجهاد الإسلامي وحركة فتح، لإعلان تضامنهم مع الشعب الفلسطيني ورفضهم الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينيّة (Berdichevsky, 2023).

ولا بد من الإشارة في هذا الصّدد إلى قيام حاخامات من جماعة ناطوري كارتا بزيارات إلى دول عربيّة مثل لبنان واليمن، وهي دول معروفة بمواقفها الحادّة جدًّا من الكيان الإسرائيلي، وتأييدها المُطلق للحقّ الفلسطيني، فضلاً عن زيارة وفد حاخامات من الجماعة إلى طهران والمشاركة في مؤتمر يُشكّك في حقيقة محرقة اليهود (الهولوكوست).

ووفقًا لموقع الجماعة الرسمي، فقد تكرّرت الزيارات إلى طهران، وكان آخرها في العام 2023، عندما التقى وفد من الجماعة بوزير الخارجيّة الإيراني (حسين أمير عبد اللّهيان) على هامش مؤتمر طهران الدولي حول فلسطين، بالإضافة إلى زيارة وفد من الجماعة أيضًا إلى دولة فنزويلا، وهي الدولة المعروفة بمواقفها الداعمة بشكل كامل للقضيّة الفلسطينيّة.

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ الدراسة تخلُص إلى أنّ علاقة جماعة ناطوري كارتا مع القيادة الفلسطينيّة تتّسم بالدعم والمناصرة والتأييد الدائم، بغضّ النظر عمّن يحكم أو يقود الشعب الفلسطيني، وتُعتبر هذه العلاقة نابعة من مواقف الجماعة الثابتة ضدّ دولة الكيان واحتلالها للأراضي الفلسطينيّة، وهو، كما سنوضّح، أحد الاستراتيجيّات المهمّة للجماعة التي تنتهجها في سياق مواجهة الحركة الصهيونيّة ودولة الكيان الإسرائيلي.

3.7.3 موقف جماعة ناطوري كارتا من القدس

لم تفصل الجماعة بين موقفها الثابت من الصهيونيّة ودولة الكيان وبين أيّ من نتائج قيام هذه الدولة بعد احتلال الأراضي الفلسطينيّة، بل إنّ مواقفها من كلّ القضايا الناتجة عن الاحتلال، هو الموقف من الاحتلال ذاته، والذي يقوم على الرفض المُطلق والاستنكار الدائم للفعل الأساسي والنتائج المترتبة عليه. وبناءً على ذلك، فإنّ موقف الجماعة من مدينة القدس تحديدًا، هو موقف مُتقدّم منذ الاحتلال، وهو ما توضّحه الدراسة بما يلي:

1. المطالبة بتدويل المدينة: بعد إعلان قيام دولة الكيان الإسرائيلي عام 1948، أرسل زعيم الجماعة (موشيه هيرش) رسالة إلى الأمم المتّحدة يُعبّر فيها عن رفض الجماعة قيام الدولة، ويطلب بتدويل القدس كي لا تخضع لحكم الصهاينة، بل طلب أيضًا جعل حيّ مائة شعاريم إمارة مستقلّة عن الدولة. (موقع الجزيرة نت، 2023).
2. شارك عدد من قادة الجماعة في المسيرة العالميّة إلى القدس، التي نُظّمت في مارس/آذار عام 2012 بدعوة من مئة شخصيّة عالميّة يُمثّلون مختلف دول العالم، وفي مقدّمتهم الولايات المتّحدة الأمريكيّة والمملكة المتّحدة وكندا وألمانيا. وهدفت المسيرة إلى حشد طاقات العالم لوضع حدّ لاحتلال مدينة القدس وسائر الأراضي الفلسطينيّة. (موقع الجزيرة نت، 2012).
3. المشاركة في مؤتمر الأزهر العالمي لنُصرة القدس عام 2018، المنعقد في القاهرة، وأكّدت الجماعة على موقفها بالقول إنّ مشاركتها في هذا المؤتمر تأتي لعرض موقف اليهود الحقيقي بشأن

قضيّة القدس التاريخيّة. وأكّد (مئير هيرش) زعيم الجماعة في المؤتمر: "نُعلن نحن الفلسطينيّون اليهود أنّ حقّ التملّك الوحيد على الأماكن المُقدّسة في المناطق المُحتلّة، قاصر على الشعب الفلسطيني فقط". (بوابة الأزهر، 2018). والتقى وفد الجماعة على هامش المؤتمر بالإمام الأكبر الشيخ (أحمد الطيّب) إمام الأزهر الشريف.

4. رفضت الجماعة بشكل قاطع إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب (Donald Trump)، القدس عاصمة لدولة الكيان ونقل السفارة الأمريكيّة إليها، واعتبرت هذه الخطوة ضدّ المسلمين واليهود، وقبولًا صارخًا للرواية الصهيونيّة. (موقع الجزيرة نت، 2023).
5. تحرص الجماعة على المشاركة الدائمة والفاعليّة في يوم القدس العالمي، وتتواجد في كلّ الفعاليّات التي تُنظَّم إحياءً لهذا اليوم، في كلّ الدول التي يتواجد فيها أعضاء الجماعة ومناصروها ومؤيّدوها. (تقرير اخباري مصور، 2025). وبعد تقارب الجماعة من السلطة الفلسطينيّة، أعلن الحاخام (موشيه هيرش) موقف الجماعة الدّاعي إلى وضع القدس كاملة تحت السيطرة الفلسطينيّة، وإعلانها عاصمة لدولة فلسطين، وأكّد ثقته المُطلقة بأنّ اليهود سيحظون بالعدل والاحترام وحرّية العبادة، مثلما كانوا منذ 1500 سنة قبل إنشاء (الكيان الإسرائيلي). (تقي الدين، 2018).

وتستند الجماعة في مواقفها الأساسيّة من مدينة القدس إلى النصوص التوراتيّة التي تُحرّم قيام دولة لليهود بمعزل عن مشيئة الربّ وقبل عودة الماشيح، وهذا ما يُبرّر رفضهم زيارة حائط البراق (المبكى)، الذي يُعتبر من أقدس الأماكن في القدس عند اليهود.

وتُؤكّد ناطوري كارتا على ما جاء في خطاب الحاخام زاينفيليد (Seinfeld)، الذي كان الحاخام الرئيس لليهوديّة الحريديّة الأرثوذوكسيّة المعادية للصهيونيّة، الذي راسل المسلمين في 1929، مُؤكّدًا أنّ اليهود الحقيقيّين لا يرغبون بأيّ شكل، بسط أيديهم على ما لا يملكون، ولا يرغبون في الإضرار بحقوق المسلمين في الأماكن المملوكة لهم، والتي يُولونها الاحترام والقداسة، ولا أساس للشائعات بأنّ اليهود

يرغبون في امتلاك المسجد الأقصى، بل على العكس، فمنذ دخول الشعب اليهودي في المنفى، من المحظور على أيّ يهودي أن تطأ قدمه ساحة الأقصى. (بوابة الأزهر، 2018).

ومن الناحية التاريخيّة، تستند الجماعة إلى حقّ المسلمين في المدينة بعد الفتح الإسلامي زمن الخليفة (عمر بن الخطّاب)، وإعادة تحريرها من احتلال الصليبيّين على يد القائد (صلاح الدين الأيوبي) عام 1187، بعد أن سيطروا عليها قرابة 88 عامًا.

كما تعتمد الجماعة في موقفها من الناحية السياسيّة على قرارات مؤتمر حائط البراق، الذي انعقد في قصر باكنغهام عام 1931، وكانت أهمّ مقرّراته تُؤكّد على تملّك المسلمين للحرم الشريف وحائط البراق والساحة المُجاورة له، والحيّ المقابل له (حيّ المغاربة)، وتُشير الجماعة بتقدير كبير أيضًا في هذا الإطار إلى القرار المُهمّ لليونسكو في الجلسة النصف سنويّة للمنظّمة، في 11 أبريل/نيسان 2017، بأنّه لا حقّ لليهود على المسجد الأقصى وما حوله، وقد أدانت بشدّة السيطرة الصهيونيّة على هذه الأماكن المُقدّسة. (بوابة الأزهر، 2018).

3.7.4 موقف جماعة ناطوري كارتا من قضية اللاجئين

لم تفصل جماعة ناطوري كارتا في كلّ المراحل الزمنيّة بين مجمل القضايا الرئيسيّة للشعب الفلسطيني في إطار دعوتها لإنهاء الاحتلال وتفكيك دولة الكيان الإسرائيلي وإعادة أرض فلسطين إلى أصحابها، بل كانت دائمًا تُنادي بحلّ شامل يقوم على استعادة الشعب الفلسطيني لأرضه كاملة، وسيادة شاملة غير منقوصة على كلّ المقدّسات الدينيّة في كلّ الأماكن في فلسطين.

ونُسلّط الضوء في هذا الجزء من الدّراسة على نظرة جماعة ناطوري كارتا إلى قضيّة اللّاجئين وكيفيّة تعاملها معها، بوصفها أكبر وربّما أعقد المآسي الناجمة عن الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، حيث إنّ الجزء الأكبر من الشعب الفلسطيني لا يزال يعيش نتائج كارثة تهجيره من أرضه وتشتّته في الدول المجاورة لفلسطين بشكل أساسي، وفي مختلف دول العالم بشكل أقلّ حضورًا.

وقد أشرنا إلى أنّ قيام الصهاينة بإنشاء وطنهم القومي على أرض فلسطين وتهجير شعبها أو قتل السكّان وصولًا إلى التطهير العرقي لهم، يُعتبر ضربًا صارخاً من العنصريّة والاضطهاد. وتؤكد الدراسة في هذا السياق إلى أنّ جماعة ناطوري كارتا كان لها دور كبير ومساهمة فعّالة في قرار الأمم المتّحدة رقم 3379 عام 1975، الذي اعتبر الصهيونيّة شكلًا من أشكال العنصريّة، حيث كانت الجماعة تحظى في ذلك الوقت بصفة مراقب في الأمم المتّحدة (موقع الجزيرة نت، 2023).

ولا بدّ من الإشارة إلى أن هذا القرار قد جاء بسبب استناد الفلسفة والأدبيّات الصهيونيّة إلى كون اليهود عنصرًا بشريًّا يتفوّق على سائر البشر، وهو تسوقه في معرض تبريرها القيام بتهجير الشعب الفلسطيني والاستيلاء على أرضه بالقوّة الجبريّة. ويبدو سلوك الجماعة في التأثير من أجل اعتماد هذا القرار الأممي، دلالة واضحة على رفض مبدأ تهجير الشعب الفلسطيني، حيث عملت بجهد كبير لإصداره وتمريره في أروقة المنظمة الدولية.

كما يجب تسليط الضوء على خطاب ألقاه الحاخام (يسرائيل فيلدمان) (Yisroel P. Feldman) عام 2003 في بوسطن/ الولايات المتّحدة الأمريكيّة، للاحتجاج على مهرجان (بوسطن تحتفل بإسرائيل)، قال فيه: "فقط عندما يعود الشعب الفلسطيني إلى وطنه كأمّة ذات سيادة، سيعيش اليهود والعرب من جديد في سلام ووئام، كما عاشوا لقرون طويلة قبل ظهور الصهيونيّة، وسيحلّ السلام في الأرض المقدّسة فقط عندما يُسمح للاجئين الفلسطينيّين بالعودة إلى ترابهم الأم" (Feldman, 2004).

ونشير أيضاً إلى مشاركة وفد من الجماعة عام 2005، بقيادة الحاخام آرون كوهين (Aaron Cohen)، في مؤتمر حقّ العودة، الذي عُقد في بيروت، وكان وفد الجماعة يتحرّك في لبنان بحماية مباشرة من رجال حزب الله اللبناني (تقي الدين، 2018).

وتمثّل هذه المشاركة إعلانًا صريحًا وموقفًا ثابتًا يُؤكّد كلّ ما سبقه من تصريحات ومواقف للجماعة، وتَحسم موقفها من قضيّة اللاجئين بأنّه لا بديل عن حقّ عودة الفلسطينيّين إلى أرضهم.

تستنتج الدراسة ممّا تقدّم أنّ موقف جماعة ناطوري كارتا من قضيّة اللاجئين الفلسطينيّين لم يكن دعمًا وتأييدًا أقلّ من موقفها بالرفض للحركة الصهيونيّة ودولة الكيان الإسرائيلي، فالجماعة التي تستند إلى أسس دينيّة ثابتة وخلفيّات سياسيّة وتاريخيّة تدعم رؤيتها وفهمها للنصوص الدينيّة، لا تُجزّئ مواقفها من مجمل مكوّنات القضيّة الفلسطينيّة، وتتبنّى دائمًا خيارات محدّدة تتمثّل باستعادة الشعب الفلسطيني لكلّ حقوقه في الأرض والمقدّسات والعودة والسيادة.

وتُشير هذه الدراسة إلى قوّة الأيديولوجيا، التي لا تزال المحدّد الأساسي في بناء فكر جماعة ناطوري كارتا، ومنطلقًا مركزيًّا في صياغة مواقفها من كلّ القضايا المرتبطة بالمشروع الصهيوني منذ انطلاقه، رغم أنّ الصهيونيّة لم تُقدّم نفسها بشكل رسمي في إطار ديني، إلّا أنّ ادّعاءها بالعمل من أجل خلاص يهود العالم من الاضطهاد والشتات، استدعى من حاخامات اليهود اتخاذ موقف واضح، حتّى قبل تشكيل الأطر الناظمة للنشاط المناهض للصهيونيّة في أوساط اليهود من جهة، وبعد أن شرعت بعض الهيئات والمنظّمات المناهضة للصهيونيّة بالتقارب مع الحركة الصهيونيّة من جهة أخرى.

وفي هذا الصدد، تُؤكّد الدراسة على أهميّة الموقف المتقدّم للجماعة فيما يتعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة، على صعيد مختلف الهيئات والمنظّمات التي تعمل ضدّ الصهيونيّة ودولة الكيان أو ترفض وتناهض سياساتها على أقلّ تقدير.

كما تجدر الإشارة إلى قدرة الجماعة على الاستمرار في ثباتها، رغم الدعم الهائل الذي تحظى به دولة الكيان الإسرائيلي منذ إنشائها، على كافة الأصعدة السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة، وبالمقابل، محاولات التعتيم على كلّ الجهات التي تُناهضها أو تعمل ضدّها أو حتّى تُعارضها.

الفصل الرَّابع

استراتيجيات جماعة ناطوري كارتا في مواجهة المشروع الصّهيوني

4.1 تمهيد

إنّ تبنّي المواقف وصياغة الأفكار دون الاقتران بالعمل القائم على التخطيط السليم، لن يكون كافيًا لدعم أو مناهضة مشروع معيّن أو فكرة ناشئة. ولأنّ الفكرة الصهيونيّة بمفهومها الذي أوجده مؤتمر بازل 1897، والتأطير النظري الذي حظيت به الفكرة قبل وأثناء وبعد المؤتمر، كان حاسمًا في تحديد مسار هذه الفكرة وبلورة المشروع الأساسي الذي تسعى لتحقيقه، وقد كان ذلك أدعى بكلّ المجموعات والأفراد الذين اتّخذوا مسارًا مناهضًا لها، أن يتبنّوا نهجًا واضحًا في مقاومتها، واستراتيجيّة تكون حاضرة أمام كلّ المآلات المحتملة لهذا المشروع.

من هذا المنطلق، يتمّ في هذا الفصل من الدراسة تسليط الضوء على استراتيجيات جماعة ناطوري كارتا في مواجهة المشروع الصهيوني، بشكل منفرد وفي الإطار العام لمناهضة ومعاداة الصهيونيّة، كما يتناول هذا الفصل كيفيّة تعاطي الجماعة مع أشكال النضال الفلسطيني ضدّ الاحتلال، وأبرز التحدّيات التي تعرّضت لها الجماعة في سياق عملها ضدّ الصهيونيّة ودولة الكيان الإسرائيلي، وماهيّة دور الجماعة في تعزيز النضال الفلسطيني والموقف الفلسطيني على السّاحة الدوليّة.

4.2 مفهوم الاستراتيجيَّة عند الجماعة الدّينيَّة

تُعرّف الاستراتيجيّة في اللغة على أنّها: "تخطيط العمليّات العسكريّة والوسائل التي يجب الأخذ بها في القمّة والقاع لتحقيق الأهداف البعيدة، وتُستعمل أيضًا في العمل السياسي حيث تُشير إلى التخطيط من أجل القيام بشيء محدّد". (معجم المعاني الجامع).

أمّا المفهوم العام للاستراتيجيّة، فقد حظي بتعريفات وتوصيفات متعدّدة على مرّ التاريخ، فرغم أنّ أصل الكلمة يعود إلى مصطلح يوناني مُشتق من كلمة (ستراتيغوس – Strategos)، والتي تعني القائد، وفي

كتابات أُخرى تربط المصطلح بكلمة (Strategema) التي ظهرت في الرّبع الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، وتشير إلى الحيلة والخداع، وتستعرض الدّراسة أبرز التّعريفات التي مرّ بها المصطلح:

1. قدّم الصينيّون المصطلح باعتباره فنًّا عسكريًّا لإدارة الحروب، وكان الحكيم والمستشار الصيني (صن تزو – Sun Tzu) أشهر من كتب في الاستراتيجيّة.
2. عرّفها الألماني (فون كلاوزفتز – Carl von Clausewitz) بأنّها: استخدام الاشتباك وسيلة للوصول إلى هدف الحرب، أو استخدام الصراع لفرض الهدف السياسي.
3. الفرنسي (ليزيه – Lysee) عرّفها بأنّها: فنّ إعداد خطّة الحرب وتوجيه الجيش في المناطق الحاسمة، والتعرّف على النقاط التي يجب تحشيد أكبر عدد من القطاعات فيها لضمان النجاح في المعركة.
4. والألماني (فون مولكته – Helmuth von Moltke the Younger) عرّفها بأنّها: إجراء الملاءمة العمليّة للوسائط الموضوعة تحت تصرّف القائد لتحقيق الغرض المقصود.
5. ويعرفها البريطاني (ليدل هارت – B. H. Liddell Hart) بأنّها: تنسيق وتوجيه كلّ موارد الدولة وإمكاناتها للحصول على الغرض السياسي للدولة.
6. وقال البروفيسور الأمريكي (كولن جراي – Colin S. Gray) بأنّها: استخدام القوّة العسكريّة أو التهديد باستخدامها لتوفية حاجيّات السياسة.
7. أمّا الجنرال الفرنسي (أندريه بوفر – André Beaufre)، فعرفها بأنّها: فنّ استخدام القوّة للوصول إلى أهداف السياسة.

وفي مفهومها الواسع، ارتبطت الاستراتيجيّة بالسياسة العليا للدولة، فالاستراتيجيّة اليوم أصبحت حاضرة كصيغة ملازمة لوجود الدولة في أوقات السّلم والحرب على حدّ سواء.

وقد قدّم الجنرال الفرنسي (أندريه بوفر – André Beaufre) تعريفًا آخر يتّسم بالشّمولية لأوّل مرّة ويُخرج المصطلح من إطاره العسكري، فقال إنّ الاستراتيجيّة تعني: "تنسيق واستعمال القوى السياسيّة

والاقتصاديّة والاجتماعيّة والنفسيّة والعسكريّة ضمن مخطّط منظّم، ويهدف إلى تحقيق المصلحة القوميّة" (صقر، 2018).

واستنادًا إلى ما تقدّم، يمكن البناء أيضًا على أنّ القوى أو العوامل الدينيّة يمكن أن تدخل ضمن العناصر التي يتمّ تنظيمها وتنسيق الجهود فيها من أجل تحقيق هدف معيّن أو غاية محدّدة، ويبدو هذا تعريفًا منطقيًّا من الناحية الإجرائيّة لمفهوم الاستراتيجيّة عند الجماعة الدينيّة.

وهو ما ينطبق بوضوح على جماعة ناطوري كارتا، حيث إنّ الخلفيّات التي تستند عليها في بناء استراتيجيّتها تقوم على مبادئ وأُسس دينيّة، وفي مراحل لاحقة لنشوء الجماعة اعتمدت – بنطاق محدود – على بعض العوامل المعزّزة مثل العوامل التاريخيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والقانونيّة.

وفقًا لمقابلة شخصيّة أجراها الباحث عام 2025 مع الحاخام (ديفيد وايس – David Weiss)، الناطق باسم ناطوري كارتا وأحد أبرز قياداتها في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، يُشير (وايس) إلى سعي الجماعة من خلال استراتيجيّاتها إلى تحقيق هدفين أساسيّين:

1. الحفاظ على الهويَّة الدّينيَّة للجماعة القائم على الفصل بين اليهوديّة والصهيونيّة، وأنّ الصهيونيّة مناقضة لليهوديّة، ومخالفة لتعاليمها، وتعمل ضدّ سلطة الله وإرادته، وتقوم باستخدام الدّين لأغراض باطلة ومحرّمة.
2. الإبقاء على الجماعة في حالة نشاط وتفاعل دائم على كل المستويات الممكنة وفي كل أماكن تواجدها من أجل تعرية المشروع الصهيوني وفضح سياسات دولة الكيان الإسرائيلي وفاشيتها وعنصريتها ضد الشَّعب الفلسطيني، بالتزامن مع الدّعوة الدائمة لإسقاط المشروع الصّهيوني وتفكيك الدولة المزعومة.

تستنتج الدراسة أنّ مفهوم الاستراتيجيّة ذو الارتباط الوثيق بالأعمال العسكريّة، تطوّر حتّى أضحى شاملًا لمفهوم التخطيط في مختلف أوجه العمل والنشاط الإنساني، ويُستخدم للدّلالة على التخطيط الذي

يسعى لتحقيق أهداف محدّدة، ويقوم على التوظيف الأمثل للموارد ونظام محكم من النشـــاط والســـلوك الموجّه، سواء بضابط زمني أو لا (Horwath, 2020).

وبناء عليه، فإنّ مفهوم الاستراتيجيّة لدى جماعة ناطوري كارتا قد تحدّد من خلال الأهداف التي تسعى الجماعة لتحقيقها، بمعنى أنّ الاستراتيجيّة عندهم: هي التخطيط المستمر المرتبط بالعمل الدائم، سعيًا إلى إجهاض المشروع الصهيوني، والقضاء على أهمّ نتائجه المتمثّل بـــدولة الكيان الإسرائيلي.

4.3 استراتيجية جماعة ناطوري كارتا

تتقاطع كلُّ التَّعريفات لمفهوم الاستراتيجيَّة في وصفها للمصطلح، على أنّه مرحلة من مراحل التَّخطـــيط أو شكلٌ من أشكاله، يتَّسم بالشُّموليَّة ووضوح الرُّؤى والأهداف وتحديد الوسائل والأدوات. وبذلك فـــإنَّ الاستراتيجيَّة في مضمونها تُعبِّر عن مرحلة متقدِّمة ومتطوِّرة من التَّخطيط، أو يُمكن القول إنَّها أســـمى مراحله، لذلك يتمُّ ربط مصطلح (استراتيجي) بمصطلح التَّخطيط للتَّعبير عن مستوى متقدِّم ورُؤًى ثاقبـــة للخطة والمخطِّطين على حدٍّ سواء، وغالبًا ما يكون مرتبطًا بمدًى زمني طويل.

لكن التَّجارب الإنسانيَّة وعلى مرِّ التَّاريخ تُثبت أنَّ الجهد العقلي في التَّفكير والإبداع والتَّخطـــيط ســـيظلُّ مجرَّد نصوص وشعارات ما لم يقترن بوسائل وأدوات تقود إلى تنفيذه وتحقيقه وتحويله إلى واقع يعيشه النَّاس ويتلمَّسون نتائجه.

ونسلِّط الضَّوء في هذا الجزء من الدِّراسة على أهمِّ استراتيجيات جماعة ناطوري كارتـــا فـــي تحقيـــق أهدافها، أو الاستراتيجيَّات الفرعيَّة التي تعمل وتسعى من خلالها لتحقيق الأهداف الاستراتيجيَّة الكبرى (Weiss, 2025):

1. الحفاظ على المبادئ والقيم: تنشئة وتربية الأجيال الجديدة من أبناء الجماعة على ذات القيم والتَّعـــاليم الدِّينيَّة، وكلِّ الأسس التي قامت عليها الجماعة وشكَّلت معالم بنيتها وفلسفتها الفكريَّة والسُّلوكيَّة.

2. المظاهرات والاحتجاجات: الخروج في مظاهرات واحتجاجات بشكل دائم، وفي مناسبات متعدِّدة مرتبطة بالصُّهيونيَّة ودولة الكيان، للتَّعبير عن رفضهم المطلق للفكرة الصُّهيونيَّة والمشروع الصُّهيوني وسياسات الكيان الإسرائيلي، والتَّأكيد على تناقض الدِّيانة اليهوديَّة مع الفكرة الصُّهيونيَّة من حيث المبدأ، والسَّعي من خلال ذلك إلى بلورة رأي عام عالمي، خاصَّة في الدُّول الكبرى المُؤثِّرة في القرار الدُّولي.

3. المؤسَّسات الدَّوليَّة: التَّواصل المستمر مع الهيئات والمؤسَّسات الدُّوليَّة، للتَّأكيد على عدم قانونيَّة إنشاء دولة الكيان الإسرائيلي ووجوب استعادة الشَّعب الفلسطيني لحقوقه كاملة، بما يشمل كلَّ أرض فلسطين وسيادته الشَّاملة عليها، والضَّغط من أجل إصدار قرارات دوليَّة بهذا الشَّأن من كلِّ الجهات. ويأتي هذا الجهد في مسعى لرفع أيِّ غطاء قانوني عن دولة الكيان وضحد شرعية وجودها.

4. بناء علاقات مع الفلسطينيين: التَّواصل مع القيادات الفلسطينيَّة على اختلاف منابعها الفكريَّة، والتَّأكيد على دعم الخيارات النِّضاليَّة الفلسطينيَّة الرَّامية إلى استعادة أرضه وحقوقه كاملة، وأنَّ اليهود جزءٌ من الشَّعب الفلسطيني وهم يرزحون تحت الاحتلال مثل كلِّ مكوِّناته.

5. التَّواصل مع الدّول العربيَّة والإسلاميَّة: التَّواصل المُباشر مع قيادات دُول عربيَّة وإسلاميَّة معادية لدولة الكيان، للتَّأكيد على موقف الجماعة الرَّافض للمشروع الصُّهيوني برُمَّته، والدَّعوة لعدم إقامة أيِّ شكلٍ من العلاقات مع هذا الكيان، ومحاولة التَّأثير من أجل زيادة وتيرة الدَّعم للشَّعب الفلسطيني، والمطالبة بمواقف أكثر حزمًا على المستوى الدُّولي بخصوص دولة الكيان، والحفاظ على صورتها كعدوٍّ مركزيّ لكلِّ العرب، لا سيما مع تنامي قوى الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة بمشاريعها وأفكارها التَّوسُّعيَّة.

6. سياسة المقاطعة: تَنْتهج الجماعة داخل وخارج الكيان الإسرائيلي، سياسة المُقاطعة الشَّاملة لكافَّة مؤسَّسات الدَّولة وعُملتها الرَّسميَّة وأجهزتها وكلِّ مكوِّناتها، وترفض مُطلقًا التَّعامل معها بأيِّ شكل، بما في ذلك التَّعليم والتَّوظيف والمعابد والمناسبات الدِّينيَّة والأعياد الرَّسميَّة والانتخابات، ولا

يستخدمون اللغة العبرية إلا في الطقوس الدينية، ويتحدثون اللغة اليديشية في التواصل والتعامل بينهم.

7. تفكيك الدولة: الدَّعوة الدَّائمة في كلِّ المناسبات المحلِّيَّة في أماكن تواجد الجماعة أو الدُّوليَّة، لتفكيك دولة الكيان الإسرائيلي بالطرق السِّلميَّة، كونها تُمثِّل نموذجًا للاحتلال القائم على العنصريَّة والإرهاب والتَّطهير العرقي، وتدَّعي زورًا أنَّها أُنشئت من أجل خلاص يهود العالم.

ويتَّضح في إطار استعراض الاستراتيجيَّات التي تتبعها الجماعة لتحقيق أهدافها، أنَّها تندرج في سياق القوَّة النَّاعمة التي تحتاج زمنًا ليس بالقصير لتحقيق نتائج ملموسة تُعبِّر عن مدى تحقيق الأهداف والمكاسب الاستراتيجيَّة التي يسعى المُخطِّط أو المُفكِّر لتحقيقها، سواء كان ذلك على الصَّعيد الفردي أو الجمعي. كما أنَّها لا تعتمد على نشاط وفاعليّة من يقوم بها أو ينفّذها فقط، إنَّما على الوسط الذّي يُمارس فيه هذا النَّشاط ومدى إمكانيَّة استجابة مكوّناته وتفاعله مع هذا الفعل وقبوله له.

وبصرف النَّظر عن المجال الحيوي الذي تدور فيه الأهداف بشكل عام، لكنَّها بالتَّأكيد تأخذ بُعدًا أكثر تعقيدًا أو صعوبة حين تكون في مجال السِّياسة، وهو الأمر الذي ينطبق على أهداف جماعة ناطوري كارتا الاستراتيجيَّة، فهي أهداف سياسيَّة بامتياز، حتَّى وإن قامت على أُسس عقائديَّة دينيَّة.

وتُدرك الجماعة حجم التَّعقيدات ومدى تركيبها، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنَّ نشوء الصُّهيونيَّة بالأساس جاء كنتيجة لتنامي الأفكار الإمبرياليَّة في أوروبا، ووضع اليهود في هذه الدُّول، وسعي الحكومات الغربيَّة لتجنيد اليهود للقيام بدور وظيفي محدَّد يخدم مصالحها التَّوسُّعيَّة في مناطق الصِّراع على النُّفوذ والثَّروة.

4.4 دعم الجماعة للنِّضال الفلسطيني ودورها في تعزيزه، كاستراتيجيَّة من استراتيجيَّات الجماعة

تُؤمن جماعة ناطوري كارتا إيمانًا مُطلقًا أنَّه لا حَلَّ للصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي إلَّا بزوال دولة إسرائيل، وتدعو إلى إزالة وتفكيك هذا الكيان بالطرق السِّلميَّة. لكنها في ذات الوقت، عملت على فتح قنوات اتِّصال مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينيَّة في الوقت الذي كانت تتبنَّى فيه المنظمة الكفاح المُسلَّح خيارًا لتحرير فلسطين.

كما قامت الجماعة بالالتقاء بقيادة حركة المقاومة الإسلاميَّة (حماس) وهي التي تُعلن أنَّ المقاومة المُسلَّحة السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، كما التقى وفد من الجماعة بقيادة حركة الجهاد الإسلامي في مخيم جنين، التي تتبنَّى أيضًا العمل المُسلَّح نهجًا وحيدًا لتحرير فلسطين.

ويمكن توضيح موقف الجماعة من أشكال النِّضال الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي ودورها في تعزيزه، من خلال ما يلي (Weiss, 2025):

1. تُعلن الجماعة أنَّ للشَّعب الفلسطيني الحقَّ بمُقاومة الاحتلال بكلِّ الوسائل والطُّرق التي يكفلها القانون الدَّولي.
2. ترفض الجماعة الإعلان الصَّريح عن دعمها الكفاح المُسلَّح أو العمل العسكري الفلسطيني ضد إسرائيل. وتكتفي بالإشارة أحياناً إلى حق الشعب الفلسطيني باستعادة أرضه كيفما يشاء. (يُبرِّر الحاخام وايس هذا الموقف حتى لا يتمَّ اتِّهام الجماعة بالإرهاب ومعاداة السَّاميَّة).
3. ترى الجماعة أنَّ تواصُلها مع القيادة والفصائل الفلسطينيَّة، يُعتبر دعمًا صريحًا لنضال الفلسطينيين ضد الاحتلال.
4. لا تتوانى الجماعة في كلِّ مناسبة تتاح لها إعلاميًّا وجماهيريًّا في الدِّفاع عن حقِّ الشَّعب الفلسطيني بالنِّضال من أجل التَّحرير ونَيل حقوقه واستعادة كل الأراضي الفلسطينية وتحقيق السيادة الشاملة عليها.

5. تُساند الجماعة كلَّ الجهود الدَّوليَّة السَّاعية للدِّفاع عن الشَّعب الفلسطيني وتكفل حقَّه في مُقاومة الاحتلال، وتدعم كلَّ قرار أو جُهد على أيِّ مستوى، يُدين الكيان الإسرائيلي ويدعو إلى إنهاء الاحتلال.

وبناءً على ما تقدَّم، فإنَّ جماعة ناطوري كارتا تتبنَّى موقفًا ثابتًا يقضي بمشروعيَّة ودعم نِضال الشَّعب الفلسطيني لنَيل استقلاله وكامل حقوقه على كلِّ الأرض الفلسطينيَّة. كما تسعى الجماعة إلى تعزيز هذا النِّضال بجُهد ونشاط دائمين لإسقاط كلِّ محاولات تشويهه أو وصمه بالإرهاب، رغم أنَّها لا تُعلن صراحةً دعم العمل المُسلَّح.

وإذا كانت الجماعة منذ نشوئها قد حافظت على نسق ثابت في الخطاب إزاء الصُّهيونيَّة والمشروع الصُّهيوني، فهي أيضًا تُحافظ على مواقفها الراسخة تجاه الشَّعب الفلسطيني التي ترى نفسها جزءًا منه، واتجاه نِضاله ومُقاومته ضد الاحتلال، وتعتبر ذلك جزءًا من استراتيجيَّتها الذاتيَّة في مُناهضة المشروع الصُّهيوني ودولة الكيان.

حيث تؤكد أنَّ استمرار النِّضال يعني استمرار الحياة للقضيَّة الفلسطينيَّة، ويعني بالضَّرورة استمرار زخم ناطوري كارتا في مناهضتها للمشروع الذي ترى أنَّه ضدَّ كلِّ المُعتقدات الدِّينيَّة، لا بل أنَّه ضدُّ سُلطة الله، أمَّا غياب النِّضال الفلسطيني بكلِّ أشكاله، فذلك يعني عمليًّا انتهاء القضيَّة الفلسطينيَّة، وبالتَّالي إسقاطًا لسرديَّة الجماعة ورُؤيتها للصُّهيونيَّة ومشروعها وفشلها أمام قوَّة الرِّواية والمَنطق الصُّهيونيين.

إلا أنّه في الوقت ذاته نجد أنّ موقف الجماعة ودورها لا يزالان يتسمان بمحدوديّة الخيارات والتأثير وذلك يعود لسلسلة من التحديات نأتي عليها لاحقًا، ورغم هذه المحدوديّة لا يمكن الانتقاص من أهميّة موقف ودور الجماعة في كل محطات ومكوّنات القضية الفلسطينيّة وفي مقدّمتها نضاله ضد الاحتلال.

4.5 التحديات التي تواجه جماعة ناطوري كارتا في التصدّي للمشروع الصّهيوني ودولة الكيان الإسرائيلي

أشرنا في مواضع سابقة إلى أنّ جملة الاستراتيجيات التي تنتهجها جماعة ناطوري كارتا في مواجهة الصّهيونية ودولة الكيان، تفتقد النجاعة والقوّة اللازمتين لتحقيق مكاسب استراتيجيّة في هذه المواجهة.

ونسلّط الضوء في هذا الجزء من الدراسة على مجموعة التحديات التي تواجه الجماعة وتعيق قدرتها على تحقيق أهدافها، رغم استنادها إلى أيديولوجيا دينية عقائدية راسخة. وتقدّم الدراسة هذه التحديات تبعًا لتوزيع وجودها ونشاطها، داخل وخارج فلسطين المحتلّة (دولة الكيان الإسرائيلي).

4.5.1 التَّحديات داخل فلسطين المحتلة (الكيان الإسرائيلي)

تشير هذه الدراسة أنّ جماعة ناطوري كارتا تتواجد في مناطق محددة في دولة الكيان وأبرزها حي مائة شعاريم في القدس المحتلّة، وتتخذُه الجماعة مقرًّا لها ولكل أنشطتها الحياتيّة ومنطلقًا للنشاط الموجّه ضد الدولة. ويقول الحاخام (مير هيرش) زعيم الحركة في إطار استعراضه للتحديات التي تواجه الجماعة، أنّهم يواجهون سلسلة من العقبات والمعيقات التي تسعى أجهزة الكيان المختلفة من خلالها إلى الحدّ من نشاط الجماعة، وفي هذا الإطار يؤكّد (هيرش) أنّ الممارسات التي تقوم بها أجهزة الأمن التابعة للكيان الإسرائيلي، تمثّل سعيًا دائمًا ومتصاعدًا في محاولات ردع الجماعة وثنيها عن أعمالها ونشاطها ضد الكيان الإسرائيلي والمشروع الصّهيوني بشكل عام.

ويؤكّد (هيرش) أنّ هذا السلوك يؤكّد بوضوح أنّ النشاط الذي تمارسه الجماعة يمثّل تهديدًا للرواية والسرديّة الصهيونيَّة؛ لأنّه يخاطب العقل والوجدان اليهودي في ذات الوقت الذي يحرك فيه الشّعور بالإحباط لدى اليهود داخل الكيان، جرّاء السياسات التي تنتهجها الحكومة إزاء الفلسطينيين، والتي باتت تضرب صورة اليهودي المؤيد لدولة الكيان في كل العالم، وتجعلُه معرضًا دائمًا للنقد ومهددًا في حياته واقتصاده وأمنه.

ويُجمِل الحاخام (هيرش) جملة التحديات التي تواجه جماعة ناطوري كارتا في فلسطين المحتلة بما يلي:

1. محاولة منع أي نشاط جماهيري للجماعة سواء التظاهرات أو الاحتجاجات، ويكون ذلك بالعنف والقوّة من خلال أجهزة الأمن المختلفة.
2. التعتيم الإعلامي، حيث تعمل أجهزة دولة الكيان الإسرائيلي على منع وسائل الإعلام المختلفة المحلية والعالميّة من تغطية أي نشاط تقوم به الجماعة، خشية التأثير على الرأي العام المحلي والعالمي. ويشير (هيرش) في هذا السياق إلى خطورة وفعالية المظاهرات من داخل الكيان الإسرائيلي على الدولة ذاتها، عن سواها التي تحدث في مختلف دول العالم.
3. سياسة الاعتقالات التي تقوم بها أجهزة الأمن بحق الناشطين في الجماعة والتي تطال كثيرًا حاخامات الجماعة، وتعذيبهم.
4. محاولات نفي أفراد ومؤثرين من أعضاء الجماعة إلى الخارج، في إطار جهد منظّم يهدف إلى تشتيت حاخامات الجماعة والأفراد المنتمين لها.
5. الاقتحامات الليلية الدائمة لحي (مائة شعاريم) وتدمير أي مظاهر مناهضة للصهيونية أو دولة الكيان الإسرائيلي أو أي مظاهر تأييد للشعب الفلسطيني، وترهيب العائلات وتهديدهم في حال مشاركتهم في الأنشطة والفعاليات التي تنظّمها الجماعة.
6. تعمل أجهزة الكيان الإسرائيلي على منع أو إعاقة أي تواصل للجماعة مع القيادة الفلسطينية أو الشعب الفلسطيني، من خلال اعتقال كل من يقوم بهذا النوع من النشاط أو يحاول القيام به، وتعذيبهم والتنكيل بهم.
7. تقوم الأجهزة المختلفة لدولة الكيان بالعمل على التشهير بالجماعة وأعضائها، وتصفهم بالخونة والأعداء، في محاولة لترهيب المجتمع الإسرائيلي ومنعه من التقارب معهم أو التأثّر بأفكارهم.

وتبدو الإجراءات والممارسات التي تقوم أجهزة الكيان الإسرائيلي بحق أبناء جماعة ناطوري كارتا، جزءًا من تلك التي تمارسها بحق أبناء الشعب الفلسطيني، وفي هذا السياق يؤكّد الحاخام (هيرش) أنّ

أعضاء الجماعة لا يرون بذلك أمرًا مستغربًا، ولا يستبعد في مرحلة ما أن تقوم سلطات دولة الكيان بالاستهداف المباشر لحياة الناشطين في الجماعة، فهم أيضًا فلسطينيون، وبالنسبة للصهاينة هم ليسوا بأقل خطورة من الشَّعب الفلسطيني في الضّفة الغربيَّة وقطاع غزة.

ولا بد من التّنويه في هذا الصدد أنّ حملات التخوين قد طالت شخصيات يهودية ذات ثقل وحضور في مختلف المجالات الثقافية والعلمية والأدبية، مثل أرفين ليهمان (Arvin Lyman) وألفرد ليلنتال (Alfred Lilienthal) وهنري مورغنتاو الكبير (Henry Morgenthau) ويعقوب تشيف (Jacob Schiff) بالإضافةِ إلى نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) وغيرهم. ويأتي هذا السلوك في مسعى من الحركة الصهيونية ودولة الكيان لإرهاب الأجيال الشابة ومحاولة ثنيهم عن السّير في ركب الجماعة. (زعرور، 2019)

4.5.2 التَّحديات على مستوى التّواجد في دول العالم

يقول الحاخام (ديفيد وايس) النَّاطق باسم الجماعة في نيويورك، إنَّ الحريّة التي ينادي بها الغرب ويدّعي أنّه يتبنّاها في مجتمعاته، إنّما هي حرية منقوصة أو موجهة.

حيث إنّ مساحة الحرية محدّدة بمقدار انسجامها مع أو خدمتها لمصالح الدّول الكبرى والفاعلين السّياسيين الأساسيين فيها. فيسمح لك بالتّعبير عن رأيك وإن كان ضدّ شعوب العالم المضّطهدة أو الدّول الضّعيفة سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا، ما دام رأيك يصبّ في خدمة مصالح الدّولة التي تقيم فيها أو تحمل جنسيتها، وربّما تحصل على الدّعم المادي والمعنوي من أجل التَّشبّث بهذا الرّأي والثّبات عليه والاستمرار بإعلانه في كلّ مناسبة.

بينما تواجه بالقمع والتَّنكيل وربّما الاعتقال أو الضّرب والتّعذيب، أو قد تتعرّض للفصل من وظيفتك أو جامعتك، إذا ما قرّرت إعلان رأي يخالف سياسة الدّولة أو الفواعل النّافذة فيها، سواء أكانت رسميّة أو

غير رسميّة، مباشرة أو غير مباشرة. ويقول (وايس) إنّ هذا هو واقع الحال في الولايات المتّحدة والدّول الغربيّة بشكل عام.

ويلخّص التحديات التي تواجهها جماعة ناطوري كارتا خارج فلسطين المحتلّة (دولة الكيان الإسرائيلي)، في تنفيذ استراتيجياتها بما يلي (Weiss, 2025):

الجانب الإعلامي، حيث تسيطر القوى الصّهيونية العالميَّة على أهمّ وأكبر وسائل الإعلام في العالم، وهي توجهها نحو خدمة المشروع الصّهيوني الذي لا يزال يشكل مصلحة استراتيجية لهذه الدول، ويخدم مخطّطاتها في توسيع النفوذ وبسط الهيمنة جغرافيًا وسياسيًا واقتصاديًا. وبالتالي فإن المساحة التي تحصل عليها أنشطة الجماعة، تكاد لا تُذكر أمام تلك التي تُخصّص للدعاية المضادة لصالح الرواية والرؤية الصهيونية.

1. سياسة الترهيب التي تتّبعها الأجهزة والهيئات التّنفيذية التّابعة للّوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، ضدّ كلّ الفئات المجتمعية التي تتأثّر بالجماعة وأنشطتها أو تشارك بها، والتي ممكن أن تصل حدّ الاتهام بمعاداة السامية.
2. تجنّد القوى الغربية إمكانيات ضخمة ماديًا وإعلاميًا وسياسيًا لصالح دولة الكيان الإسرائيلي في المجتمعات الغربية، من أجل بناء صورة مشرقة تنافي حقيقة كونها سلطة احتلال قامت بالقوّة القهريّة والقتل والاستيلاء على أرض الغير وتشريد الشعب وممارسة الجرائم، فيما لا يتمّ تقديم أيّ دعم رسمي لجماعة ناطوري كارتا.
3. التّضييق المتعمّد على مجموعة كبيرة من الأنشطة والفعاليات التي تنظّمها الجماعة، من خلال تنظيم فعاليات مضّادة لما تقوم به الجماعة وبالتّزامن معها، أو منعها من تنفيذ أنشطتها في أماكن تكون ذات تأثير واسع.

4. تتبنّى كثير من القوى السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيّة الغربيّة، الرّواية الصّهيونيّة حول ناطوري كارتا بوصفهم بالخيانة والعداء لدولتهم (الكيان الإسرائيلي)، وتعمل على تسويقها في المجتمعات الغربية، الأمر الذي يضاعف التّحديات المجتمعيّة التي تواجه الجماعة.

وفي إطار الحديث عن التّحديات التي تواجه جماعة ناطوري كارتا على الصّعيد الدّولي، فإنّه لا يمكن أبدًا إغفال دور اللوبي الصّهيوني الذي يتشكّل من مجموعات ضغط بالغة التّأثير على صناعة السياسة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ومن خلالها في سياسات حلفائها المؤثّرين في القرار الدّولي بشكل عام. وبالتّأكيد فإنّ هذه اللوبيات لن تسمح –ما دامت قادرة– بوجود أجسام موازيّة لها وتقوم بدور مضاد لدورها الذي يشكّل تماهيًا تامًا مع السياسة الإسرائيليّة وداعمًا أساسيًّا لها.

ولا يخفى على أحد من الباحثين أو المهتمين أنّ مجموعات الضغط الثلاثة الرسمية الكبرى في الولايات المتحدة، وهي المسيحيّون المتّحدون من أجل إسرائيل، التي تعتبر أكبر لوبي مؤيّد لإسرائيل في الولايات المتحدة، ولجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك)، ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى، تمثل مجتمِعةً حاضنًا وموجّهًا للسياسة الخارجية الأمريكية فيما يتعلق بالكيان الإسرائيلي وجيرانها العرب والفلسطينيين، وتسعى دائمًا للوصول إلى أقوى علاقات شاملة بين الولايات المتحدة ودولة الكيان، وضمان تحقيق أعلى نسب من الدعم بكافة أشكاله وعلى كافة الأصعدة لها (Bard, 2025).

وتشير الدراسة في هذا الصدد، أنّ الدور الذي يقوم به اللوبي الصهيوني في العالم بشكل عام وفي الولايات المتحدة بشكل خاص يقتضي بالضرورة القضاء على أو الحدّ من تأثير أي فكرة قد تنعكس سلبًا على نشاطه وقوّته ونفوذه.

وفي خضم هذا الاشتباك على الدور والتأثير والنفوذ، يمكن فهم ماهيّة التّضييق على نشـــاط نـــاطوري كارتا في الدّول الغربيَّة، حيث تعاني الجماعة بشدّة في إطار سعيها لتحقيق أي مكاسب كبيرة يمكن لهـــا التّأثير في مسار تحقيق الأهداف الاستراتيجيَّة لها.

وفي ذات السياق أيضًا يشير الحاخام (مير هيرش) إلى عوامل موضوعيّة تشكّل تحدّيًا إضـــافيًا علـــى الصعيدين الداخلي والخارجي، حيث أنّ الجماعة لا تمثّل قوّة سياسيّة أو اقتصاديّة، وهذا يعتبـــر عائقًـــا أمام قدرة الجماعة على حشد التأييد والدعم اللازمين لتشكيل رأي عام قوي يكون نواةً لجماعات ضـــغط مؤثّرة على صناع السياسة وأصحاب القرار، أو تشكيل لوبي اقتصادي قوي يساهم في صياغة سياسات الدول الكبرى والمؤثرة في القرار الدولي، وامتلاك هذه العوامل من القوى الداعمة للمشروع الصهيوني هو الذي جعل منها قوى بالغة التأثير في سياسات الدول الكبرى، وفي الوقت ذاته استطاعت اســـتقطاب معظم الجماعات التي كانت مناهضة للصهيونية إبان ظهورها بمفهومها الحديث عام 1897.

من جهته يضيف الحاخام (ديفيد وايس) أنّ انعدام الدعم للجماعة من الدول المناصرة للشعب الفلســـطيني والمناهضة للمشروع الصهيوني، يضيف تحدّيًا موضوعيًّا آخر أمام سعي الجماعة لتحقيق استراتيجيتها والوصول إلى أهدافها، في الوقت الذي تغدق فيه الدول الراعية للصهيونية والكيان الإسرائيلي، الـــدعم بكل الأشكال للهيئات والمنظمات والمؤسسات التي تتبنّى الرواية الصهيونية الإسرائيلية وتـــدافع عنهـــا، وهي أيضًا التي نجحت في بدايات الصهيونية السياسية بعد عام 1897 في استقطاب مجموعة كبيرة من الجماعات المناهضة للصهيونية، ودمجها في المنظومة الصهيونية بشكل كامل أو جزئي.

وبذلك تستنتج الدراسة أنّ استراتيجية جماعة ناطوري كارتا تتسم بالضعف النسبي قياسًـــا إلـــى حجـــم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، وذلك لأسباب ذاتيّة وموضوعيّة وظروف تتعلّق بالبيئة التـــي تتواجـــد فيها الجماعة وعوامل دوليّة عديدة مرتبطة أساسًا بتضارب مصلحيّ مبدأيّ وعميق.

وإذا كانت مجمل الظروف التي تعمل فيها الجماعة ومختلف العوامل التي تحيط بهـا، لا تـزال غيـر ناضجة بالشكل الذي يتيح للجماعة تحقيق أهدافها، فإنّه يُسجل للجماعة قدرتها على البقاء والاسـتمرار والثبات، في الوقت الذي تقهقرت فيه جلّ القوى المناهضة للصهيونية أمـام الـدعم المـالي والعطـاء اللامحدودين من الحركة الصهيونية ورعاتها وداعميها بغية استقطاب تلك القوى أو تحييدها على أقـل تقدير.

ورغم كلّ التّحديات التي استعرضها حاخامات الجماعة (وايس وهيرش)، إلّا أنّهما أكّدا أنّ صورة دولة الكيان أمام العالم، لم تعد كما كانت منذ نشأتها حتى نهايات القرن العشرين، حيـث أنّـه منـذ أحـداث (أيلول/2000) (انتفاضة الأقصى) التي عمّت كلّ الأراضي الفلسطينيّة بما فيها المحتلّـة عـام (1948) وما تبعها من عدوان غير مسبوق على الضفّة الغربيّة، ثمّ الحروب المتتالية التي تشنّها إسـرائيل علـى غزة وصولًا إلى عدوان (أكتوبر/2023)، وما تخلّل كل تلك السنوات من تغوّل استيطاني وقتل ودمـار وتهديد وجودي للشعب الفلسطيني وكل الممارسات والسياسات التي تنتهك القوانين الدوليّـة، أدى إلـى حراك مجتمعي شعبي وعلى صعيد مؤسسات المجتمع المدني في الدول الأوروبيّة والولايـات المتحـدة الأمريكية يناهض السلوك الإسرائيلي على كل الصعد، ويطالب بمحاسبة دولة الكيان الإسرائيلي ووقف الدعم عنها ورفع الغطاء السّياسي الذي تمنحها إياه هذه الدول في المحافل الدّوليَّة.

ويقول الحاخام (وايس) في هذا السياق إنّ تغييرات كبيرة طالَت الولايات المتحدة وبدأت تظهـر حتـى على المستوى السياسي، ورغم أنّ الموقف الرسمي الأمريكي لا يزال يتبنّـى الـدعم الكامـل للكيـان الإسرائيلي، إلّا أنّ هذا الدعم يواجه اليوم بموجات كبيرة من المعارضة الشعبيّة والمجتمعيّة، خاصّة بين فئات الشباب وطلبة الجامعات، على عكس ما كان في السابق، وهذا الأمر يدعو إلى تكثيف العمل مـن أجل كشف الصورة الحقيقية للصهيونية التي أوجدت هذا الكيان، وبذات الوقت تحقيق دعم أكبر للقضـية الفلسطينيّة من خلال تشكيل رأي عام يكون عاملًا حاسمًا في انتخابات الـدول الأوروبيـة والولايـات

المتحدة، الأمر الذي يعتبر كفيلًا بإحداث تغييرات في سياسات هذه الدول والحدّ من الدعم المطلق الـــذي تحظى به الصهيونية وكيانها. ورغم أن هذا الأمر لا يبدو سهلًا أو قريب المنال، إلّا أنّ التغييرات التـــي تغزو العالم تشكّل أرضًا خصبة يمكن البناء عليها لتحقيق هذه الأهداف.

4.5.3 التبعات والآثار الاستراتيجية المحتملة لاستمرار جماعة ناطوري كارتا بمناهضة الصهيونية

لاحقا لما تم استعراضُه حول الصهيونية وتوضيح أسباب قوّتها وديمومتها حتى الآن، ومصادر دعمهـــا السياسي والمالي والمعنوي، واستنادا على ذلك، لا بدّ تسليط الضوء على الاحتمالات المفتوحة التي قـــد تترتب على استمرار حالة الرفض والعداء من بعض الجماعات اليهودية، وسياساتها المناهضة للمشروع الصهيوني برمته.

ومن الجدير ذكره في هذا الصدد، أنّ جماعة ناطوري كارتا تتصدر مشـــهد التـــأثير المحتمـــل علـــى الصهيونية وتثير مخاوفها أكثر من غيرها، لاعتبارات مرتبطة بالأسس الفكرية والمنطلقـــات العقائديـــة للجماعة من جهة، وانتشارها الجغرافي الذي يحمل أبعاداً أكثر خطورة من جهة أخرى. ونجمل مشـــهد الآثار المحتملة على المشروع الصهيوني بمايلي:

1. الانقسامات الفكرية وخطر التشتت

قدمت الصهيونيّة نفسها كفكرة جامعة لليهود ومخلصة لهم من المعاناة الممتدة لقرون من الـــزمن. وإن وجود معارضة قوية من داخل المجتمع اليهودي يرفض الفكرة الصهيونية من حيث المبـــدأ واســـتطاع الصمود طوال ثمانية عقود، يشكل خطراً بالغاً قد يؤدّي إلى تشتت الحركة وضـــرب بنيتهـــا الفكريـــة، ويزداد هذا الخطر عندما يكون مبعثه من داخل دولة الكيان الإسرائيلي وهي أهم ما أفرزتـــه الحركـــة الصهيونية.

2. فقدان الهوية

تحاول الصهيونية السياسية منذ نشأتها، تجسيد ذاتها كهوية يهوديّة جامعة ليهود العالم، وأي معارضة داخلية تستند على نصوص وتعاليم الدين اليهودي، تمثل خطراً وجودياً لهذا التصّور، وبالتالي تؤدّي إلى صراعات داخلية حول الهوية اليهودية.

3. التأثير على الرأي العام العالمي

منذ نشوء الصهيونية السياسية في مؤتمر بازل عام 1897، وهي تعتمد بشكل أساسيّ على الدعم الدولي سياسيا ومعنويا وماليا، سواء كان هذا الدعم من دول العالم أو الجماعات والمنظمات المؤيدة للصهيونية أو الأفراد المؤمنين بالفكرة. ويبدو نجاح المعارضة في التسويق لرؤيتها المناهضة للصهيونية، مصدر قلقً كبير من التأثير على الرأي العام العالمي، وهذا بدوره قد يقود إلى تراجع الدعم للفكرة الصهيونية ودولة الكيان الإسرائيلي.

واستناداً على ما تقدم، يتجلى بوضوح أن التأثيرات المحتملة لجماعة ناطوري كارتا على المشروع الصهيوني بكل مكوناته ونتائجه، هي تأثيرات وتبعات استراتيجية، يمكن لها أن تضعه أمام تحديات واحتمالات صعبة تكون كفيلة عند مرحلة معينة بهدمه والقضاء عليه.

وبطبيعة الحال فإن هذا الأمر لا يغيب عن أذهان قادة المشروع الصّهيوني وساسته، وهم يدركون حجم الأخطار المحدقة التي تترتب عليه، ولذلك فهم يعملون كل ما يمكن للحد من انتشار وتأثير كل الجماعات والمنظمات المناهضة للصهيونية وعلى رأسها جماعة ناطوري كارتا التي قد تكون الأشد خطورة في هذا السياق.

4.5.4 مستقبل جماعة ناطوري كارتا بين استراتيجيات المواجهة، والتحديات

تعتبر مجموعة ناطوري كارتا متميزة عن باقي الحركات المناهضة للاحتلال الإسرائيلي من حيث تاريخ تأسيسها الذي يعود إلى ما قبل إعلان إنشاء الكيان المحتل، ولقوّة مواقفها الثابتة التي لم تتغير كما هو الحال بالنسبة للعديد من الجماعات التي تلاعبت بمواقفها ومبادئها حسب المصالح والأهواء. فمنذ تأسيسها، حافظت ناطوري كارتا على موقفها الصلب في رفض الاعتراف بدولة الكيان الإسرائيلي باعتبارها مشروعًا صهيونيًا لا يمت بصلة إلى الدين اليهودي.

إضافة إلى ذلك، لم تتأثر ناطوري كارتا بالتغيرات التي ساهمت في ترسيخ الوجود الصهيوني ومنح الشرعية لدولة الاحتلال على الأراضي الفلسطينية؛ كدخول العديد من الجماعات الدينية اليهودية في بوتقة دولة الكيان الإسرائيلي واعترافهم بشرعيتها أو التعاطي المحدود والمشروط معها، وكذلك اعتراف العديد من الدول العربية بدولة الكيان وإقامة علاقات دبلوماسية وتبادل اقتصادي وتجاري وسياحي معها، بالإضافة إلى الجهود الدولية التي ساهمت في تثبيت شرعية الكيان الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية، حتى بات يشمل ذلك مدينة القدس بعد نقل السفارة الأمريكية إليها.

وبقيت مواقف الجماعة ثابتة رغم اتفاقيات السلام كمعاهدة كامب ديفيد في عام 1978 التي أسست لعلاقات ودية بين مصر والكيان الإسرائيلي، واتفاقية أوسلو في عام 1993 التي تهدف إلى حكم ذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، فضلاً عن معاهدة وادي عربة بين الأردن والكيان الإسرائيلي عام 1994، إذ أن مواقفها ظلت كما هي: لا شرعية لدولة الكيان المحتل، ولا لتقسيم الأرض الفلسطينية، ولا مساومة على تعاليم ومبادئ التوراة التي تشتمل على انتظار الماشيح المخلص.

هذا الموقف استمر حتى بعد الاعتراف الأمريكي بالقدس الشريف كعاصمة لدولة الكيان عام 2017، بل إنه ازداد صلابةً وتأصلاً، وكذلك الأمر بعد علاقات التطبيع الجديدة بين عدد من الدول العربية ودولة

الكيان. وتستمر الجماعة في المحافظة على مبادئها بجسارة كبيرة رغم إن كل العوامل المحيطة بها تدفع إلى التراجع وفقدان الأمل.

ولا مناص من التأكيد إن هذا الثبات ينبع من إيمانهم العقائدي الراسخ ورفضهم التفاوض على أي بند في هذه القضية، مما يعزز استمرار نضالهم بنفس القوة؛ لأنهم يرون أنه الحق الذي يجب الدفاع عنه، وكشف كافة الافتراءات الكاذبة التي بررت احتلال أرض فلسطين وطرد شعبها واستباحة تاريخها وحضارتها.

وتؤكد جماعة ناطوري كارتا في كل مناسبة أن الكيان الإسرائيلي الذي أنشأته الحركة الصهيونية خطيئة كبرى، تجلب العقاب الإلهي على الشعب اليهودي ككل، وسيسعون للاستمرار في رفض هذا الخطأ، ومواجهة كل السياسات التي تنفذها دولة الاحتلال تجاه شعب فلسطين، مؤكدين أنهم ليسوا جزءًا منها، ومجددين العهد بالنضال ضدها حتى يتم إعادة فلسطين إلى أصحابها.

أما فيما يتعلق بمستقبل الجماعة في مواجهة المشروع الصهيوني ودولة الكيان، فإن ناطوري كارتا قد تستمر بنفس الأدوات كالتظاهرات، والمشاركة في المؤتمرات، ونشر الكتب والمطبوعات، إذ ليس من المحتمل أن تتوسع أنشطتها أكثر من ذلك نظرًا للظروف التي تعمل بها داخل دولة الكيان وعلى الصعيدين الإقليمي والدولي، بالإضافة إلى طبيعة النهج السلمي الذي تتبعه الجماعة ومردّه إلى النصوص الدينية التي تؤمن وتعتقد بها.

وفي سياق متّصل، سيظل صوت جماعة ناطوري كارتا في العالم الغربي ضعيفًا للغاية في ظل الهيمنة الصهيونية السائدة، أما بالنسبة للعالمين العربي والإسلامي، فإن حضورها سيبقى في دوائر الإعلام الرسمي والخاص ضعيفًا كما كان في المرحلة السابقة، وستظل نشاطاتها المناهضة للكيان الصهيوني غير جاذبة للاهتمام الكافي، وذلك بسبب قصور الرؤية لدى صناع القرار العربي وخضوعهم للإملآت الصيهوأمريكية في معظم القرارات والسياسات السيادية، بالإضافة إلى ضعف التغطية الإعلامية

والوعي الشعبي للعالمين العربي والإسلامي في الوقت الحالي، بأهمية الدور الممكن أن تلعبه جماعة ناطوري كارتا في خدمة القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، بالنظر لكونها من صميم المجتمع اليهودي (سعيد، 2017).

واستناداً على ما تقدم، نجد أن مستقبل جماعة ناطوري كارتا وجدوى الاستراتيجية التي تتبناها، يظلان رهينة جملة من الظروف والمحددات التي تحيط بالجماعة، وليس لعوامل مرتبطة ببنيتها من الداخل. ويبقى هذا الأمر دائما يشكل التحدي الأكبر الذي يواجه الجماعة منذ نشوئها، ويستمر في كونه عائق مركزيّ في قدرتها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية.

الخاتمة

تقوم التجارب الإنسانية دائما على محاولات مستمرة لتغطية سلسلة لا متناهية من الاحتياجات التي تفرضها تطورات البشر في شتى مناحي حياتهم.

من هذا المنطلق يمكن فهم الفكر الإنساني بأبسط صوره حتى أكثرها تعقيدا وتركيبا، ولعل نزعة الأنانية الأصيلة في الإنسان تشكل الدافع الأقوى في سعيه الدؤوب نحو الأفضل له حتى وإن كان أحيانا أو دائما على حساب غيره من البشر، ما دام ذلك السعي يوفر إشباعا لاحتياجاته وتطلعاته.

وفي صلب هذه المعادلة غير المنصفة، تأتي دراسات الفكر السياسي والفكر السياسي المعاصر التي تشكل نواة قيام النظم السياسية وشبكة العلاقات بين المجتمعات والكيانات السياسية المختلفة، بل إنها أصبحت هي من تصوغ شكل النظم الاجتماعية وليست نتاج لها. وفي هذا الإطار جاءت هذه الأطروحة لتقوم على كل جهد سليم سبقها وتساعد في التأسيس لأي جهد قادم يبنى عليها وعلى سواها.

وقد كان مسار البحث مضنيا وشاقا بالنظر إلى الترابط والتداخل المركب بين المنظومات الفكرية المتعاقبة عبر الزمن، والتي لا يمكن الفصل التام بين مراحلها أو إغفال أن كل مرحلة تؤسس لما بعدها وتكون وليدا شرعيا لما قبلها. وليس هذا التداخل غريبا عن الفكر الصهيوني الذي لم يكن الا نتاجا لسلسة من الإرهاصات الفكرية في مراحل متعددة حتى نضج وأصبح مشروعا قائما محدد الأبعاد والخلفيات والدوافع والمبررات والوسائل والغايات.

ولأن الفكرة الإنسانية ربما تحمل في تفاصيلها أسباب ومبررات اندثارها، وليس هذا ضرب من التناقض، فإن روافد الفكرة الصهيونية من حيث المنبع الفكري، كانت هي ذاتها روافد الأفكار المناهضة لها منذ تبلورها في إطار مشروع واضح محدد. لكن سردية التاريخ وتعاقب أحداثه وسنن الكون بشكل عام وأشمل، تثبت دائما أن النجاح أو الانتصار ليسا نتيجة حتمية للاجتهاد والمثابرة البشرية، بل إن

التوصيفات المعاصرة لمفهوم النصر تربطه دائما بمدى امتلاك المنتصر للقوة المادية المباشرة، ولـــيس بالضرورة لقوة الحق أو المنطق. هل الأمر بهذه البساطة؟ نعم بهذه البساطة. وإلا لما كنا اليـــوم نقـــف على أعتاب تاريخ يحظى بملايين القتلى ظلما عبر صفحاته المكتوبة بشتى ألوان القهر، ولما وقفنا اليوم ننظر إلى طفل يموت جوعا أو عطشا أو قهرا، ولما وجدنا والدا مثخنا يبحث عن أشلاء طفله الذي لـــم يبلغ ربيعه الأول، ولما وجدنا امرأة تبحث عن ابنها الذي ضل الطريق، فجاءها في كـــيس بلاســـتيكي أبيض. ليست هذه تراجيديا لصورة الإنسان، إنما تجسيد حي واقعي لمأساة التغول الفكري ذي الأبعـــاد المصلحية لفئة أجادت صياغة معادلات السياسة والمصالح الاستراتيجية، غير آبهة بمصير سواها.

لذلك نجد أن الفكرة الصهيونية برمتها تقوم على جزء مهم من عوامل انهيارها الذاتية وبشكل دقيق ذلك الجزء المرتبط بالديانة اليهودية، فهي تدعي سعيها لتخليص يهود العالم من الاضطهاد، فيما يهود العالم أو معظمهم في البداية على الأقل، رأوا أنها لا تمثلهم بل وتعمل ضدهم وتناقض أفكارهم ومعتقداتهم.

لكن النتائج كانت تبدو ضد المنطق، حيث تنجح الصهيونية في ادعائها السعي لتخليص اليهود ويفشـــل اليهود وهم المادة البشرية المستهدفة بادعاء الصهيونية، في إسقاط ادعاء الصهيونية بتمثـــيلهم والســـعي لخلاصهم. تتفوق الفكرة على الإنسان لمجرد أنها تمثل مصلحة عليا وليس مهما إن كان أدوات الفكـــرة ممن تشملهم هذه المصلحة أو لا، ولا ضير حتى في استخدامهم وتوظيفهم والتلاعب بمصيرهم.

تلك هي لغة القوة ولغة العصر الحديث، تلك هي السياسة.

نتائج الدراسة

1. ترفض الدراسة فكرة كون الصهيونية حركة قومية علمانية فحسب، ويرى الباحث أن ربط الحركة من حيث المبدأ باسم (صهيون) وهو اسم ذا دلالة دينية دامغة في العقيدة اليهودية، يؤكد أنها قامت لتكريس منهج إن لم يكن دينيا، فهو مخطط سلفا لاستخدام وتوظيف الدين بشكل صارخ.

2. إن رفض الجماعات والمنظمات والهيئات اليهودية للصهيونية منذ انطلاقها، سواء التي انصهرت في البوتقة الصهيونية بشكل كامل أو جزئي أو التي حافظت على ثبات موقفها المناهض الرافض، يقوم من حيث المبدأ على تفسيرات صارمة للنصوص الدينية التوراتية وما ينبثق عنها من تحديد لثقافة العيش في المنفى.

3. استطاعت الصهيونية استقطاب الجزء الأكبر من المناهضين لها من خلال بعض التفسيرات المشوهة للنصوص التوراتية، بسبب التأثير المباشر للدعم السياسي والمادي اللذان حظيت بهما وبشكل لا محدود من القوى الكبرى صاحبة المصالح الاستراتيجية في نجاح المشروع الصهيوني وتحقيق هدفه الأساسي المتمثل بإنشاء دولة الكيان الإسرائيلي.

4. قامت فلسفة جماعة ناطوري كارتا الفكرية والثقافية في مناهضة الصهيونية ومشروعها، على تفسيرات متزمّتة للنصوص الدينية (التوراتية)، واعتبرته تعديا صارخا على سلطة الرب وتجاوزا لكل المحرمات، وأن الصهيونية قامت على مفاهيم تناقض الشريعة اليهودية مثل القومية والعلمانية.

5. فشلت الجماعات المناهضة للصهيونية في تحقيق أهدافها لجملة من الأسباب الذاتية والموضوعية ترتبط أساسا بكون هذه الجماعات هي جماعات دينية وليست قوى سياسية، بالإضافة الى كون الصهيونية ومشروعها يمثلان مصلحة استراتيجية للقوى الكبرى في العالم التي تقدم دعما لا محدود لهذا المشروع، وعليه فإنه نشاط الجماعات المناهضة يكون محاطا بإجراءات شديدة لحوصلته وحصره وضمان عدم تحقيقه مكاسب كبرى تساعده في تحقيق أهداف هذه الجماعات وفي مقدمتها بالطبع ناطوري كارتا.

6. إن عدم وجود لوبيات أو جماعات ضغط قوية في العالم لصالح القضية الفلسطينية بشكل خاص والدول العربية شكل عام التي تحتل دولة الكيان أجزاءً من أراضيها، على غرار تلك التي تساند وتدعم المشروع الصهيوني والكيان الإسرائيلي، يشير بوضوح إلى عدم استثمار وتوظيف وجود

جماعات مثل ناطوري كارتا من صميم مجتمع اليهودي العالمي، يـرفض وينـاهض المشـروع الصهيوني برمته ويواجه كل ما ترتب عليه من نتائج، ويؤمن بالحقوق العربية والفلسطينية كاملـة في استعادة الأرض وبسط السيادة.

7. استطاعت جماعة (ناطوري كارتا) حتى الآن، الصمود والثبات أمام كـل محـاولات المشـروع الصهيوني في تحييدها أو استقطابها، ويعود هذا بشكل أساسي الى استراتيجية الجماعة في تنشـئة الأجيال الجديدة من أبنائها على ذات القيم والمبادئ التي قامت عليها.
8. إن كل دعوات الحرية والعدالة وحقوق الإنسان التي تنادي بها الدول الغربية وتدعي الحفاظ عليها، لا تساوي شيئا ولا قيمة لها عند ذات الدول حين يتعلق الأمر بمصالحها، حتى وإن كان الثمن هـو قمع شعوبها.
9. تتسم استراتيجيات جماعة ناطوري كارتا في مواجهة المشروع الصـهيوني، بالضـعف النسـبي ومحدودية الخيارات، وذلك يعود لجملة من الأسباب الموضوعية وغير الموضوعية التـي تلعـب فيها القوى الكبرى في العالم العامل الحاسم.
10. تقوم استراتيجيات ناطوري كارتا في مجملها على القوة الناعمة التي لن تكـون كافيـة لإحـداث التغيير اللازم لتحقيق الأهداف الكبرى للجماعة، في ظل حالة التغول المصلحي للـدول والقـوى الكبرى من استمرار ونجاح المشروع الصهيوني في آدائه الوظيفي.
11. سيظل مستقبل جماعة ناطوري كارتا واستراتيجياتها في مناهضة المشـروع الصـهيوني، رهـن التطورات الدولية وحدوث تغييرات في لعبة المصالح الاستراتيجية للدول الكبرى، ونضوج أنظمة سياسية ترفض المشروع الصهيونية وتمتلك الإرادة والقدرة السياسية وتواجهه بشـكل مباشـر أو غير مباشر.

جدول (1)

أهم الاستراتيجيات التي تتبناها جماعة ناطوري كارتا وأبرز التحديات التي تواجهها

الاستراتيجيات	التحديات
الحفاظ على المبادئ والقيم المظاهرات والاحتجاجات المؤسَّسات الدَّوليَّة بناء علاقات مع الفلسطينيين التَّواصل مع الدّول العربيَّة والإسلاميَّة سياسة المقاطعة الدعوة الى تفكيك الدولة	(داخل دولة الكيان الإسرائيلي) • منع نشاط الحركة وقمعها • التعتيم الإعلامي • سياسة الاعتقالات • نفي القيادات والمؤثرين • اقتحام المنازل والترهيب • تجريم التواصل مع الفلسطينيين • تشويه وتخوين قيادات وعناصر الجماعة
دعم النضال الفلسطيني وتعزيزه	(خارج دولة الكيان الإسرائيلي) • سيطرة اللوبي الصهيوني على الاعلام الغربي • سياسة الترهيب الدائم • انعدام الدعم المالي والإعلامي والسياسي • التضييق على نشاط الجماعة • تبني الرواية الصهيونية إزاء الجماعة
	(تحديات موضوعية) • تكوين الجماعة ليس حزبي سياسي ولا تكتل اقتصادي • غياب الدعم من الدول والكيانات المناهضة للصهيونية

توصيات الدراسة

1. أن تقوم جماعة ناطوري كارتا بتشكيل ائتلاف عالمي مناهض للصهيونية على أسس إنسانية (من الدول والقوى المناصرة للقضية الفلسطينية) مع الحفاظ على منطلقاتها الدينية، كجزء من استراتيجيتها في مواجهة المشروع الصهيوني، على ان يضم هذا الائتلاف قوى سياسية واقتصادية تمكنه من التأثير في صناعة السياسة الدولية.

2. ضرورة عمل القيادة الفلسطينية على استثمار وجود الجماعات المناهضة للمشروع الصهيوني من خلال توظيفها سياسيا ودبلوماسيا في خدمة القضية الفلسطينية مع التركيز على جماعة ناطوري كارتا لخصوصيتها الأيديولوجية والجيوسياسية، مع التوصية بجعل هذه الجماعة جزء من المنتظم السياسي الفلسطيني.

3. على فصائل العمل الوطني والإسلامي الفلسطينية العمل لبناء تحالفات مع القوى الحزبية أو النقابية أو الدينية المناهضة للصهيونية والسياسات الإسرائيلية، كخطوة لا بد منها من اجل التأثير في الرأي العام العالمي للضغط على صناع السياسة في الدول المؤثرة.

4. ضرورة أن يتوجه الفلسطينيون، قيادة ومكونات سياسية ودينية، الى منظمة المؤتمر الإسلامي لدفعهم الى تبني برنامج سياسي مرحلي تكون فيه الجماعات والمنظمات اليهودية المناهضة للصهيونية حليفا أساسيا، للضغط في المؤسسات الدولية والدول الكبرى من أجل تبني قرارات نافذة لوقف الانتهاكات الإسرائيلية في القدس والأماكن المقدسة في كل فلسطين.

5. أن تعيد كل مكونات المجتمع الفلسطيني النظر في منظومة علاقاتها الداخلية والخارجية بشكل يتيح لها تشكيل جبهة عالمية قادرة على تبني السردية الفلسطينية والدفاع عنها وتحقيق اهداف مرحلية تكون خطوات استراتيجية على طريق التحرر والانعتاق التام من نير الاحتلال.

6. ضرورة قيام جماعة ناطوري كارتا بتطوير استراتيجياتها من خلال السعي لبناء شبكة علاقات سياسية واقتصادية في دول العالم ومع الجماعات والمنظمات التي تنسجم معها بالرؤية اتجاه المشروع الصهيوني، حتى يصبح تأثيرها وازناً على الساحة الدولية وفي دوائر صنع القرار الدولي.

المراجع العلمية

أولاً: المراجع العربية

ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد. (1997). *المغني* (الإصدار 3، المجلدات 1–15). القاهرة: مكتبة القاهرة.

أرشيف ملتقى أهل الحديث. (2010). تم الاسترداد من https://al-maktaba.org/book/31616/28864#p20

أكاديمية دراسات اللاجئين. (د.ت). *قادة ومنظرون صهاينة*. تم الاسترداد من https://2u.pw/SYRfQ

إمحمد، إبراهيم. (2011). *الصهيونية السياسية من مؤتمر بال حتى وعد بلفور*. (بحث غير منشور). ليبيا: جامعة عمر المختار.

أو العزم، عبد الغني. (2019). *المعجم الغني الزاهر*. دبي: مؤسسة الغني للنشر، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة.

بشارة، عزمي. (1990). دوامة الدين والدولة في إسرائيل. *مجلة الدراسات الفلسطينية، 3*، 24–41.

بوابة الأزهر. (2018). *نص كلمة ناطوري كارتا في مؤتمر نصرة القدس*. تم الاسترداد من https://2u.pw/oaZcT

بوبر ،مارتن. (2015). *الحسيدية والانسان المعاصر* (الإصدار 1). (محمد خليل حسن، المترجمون) بيروت: منشورات الجمل.

تقرير اخباري مصور. (2025). *آلاف البريطانيين يحيون يوم القدس العالمي في لندن*. تم الاسترداد من قناة الميادين: https://2u.pw/xLK7K

تقي الدين ،م. ع. (2018). *الحركات الدينية الرافضة للصهيونية داخل إسرائيل*. الكويت: دار نهوض للدراسات والنشر.

تقي الدين، م. ع. (2021). *يهود ضد إسرائيل: ناطوري كارتا نموذجاً*. تم الاسترداد من https://2u.pw/72n6Q

حسن ،م. خ. (2024). *اليهود وفكرة العداء للسامية*. تم الاسترداد من https://2u.pw/Gc4ww

حسن، ج. ه. (1994). *اليهود الحسيديم نشأتهم تاريخهم عقائدهم تقاليدهم* (الإصدار 1). بيروت: الدار الشامية.

حسن، م خ. (1981). *الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقاتها بالتراث الديني اليهودي* (الإصدار 1). القاهرة: دار المعارف.

حنفي، عبد الغفار. (2001). *علم الاجتماع الديني*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

دويتشر، اسحق. (1996). *اليهودي اللايهودي*. (ماهر الكيالي، المترجمون) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

دياني، مراد. (2017). في التأصيل المصطلحي العربي لمفاهيم العلوم الاجتماعية المعاصرة. *مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، 5*(20)، 7-27.

رزوق، أسعد. (1971). *قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

زريق ،رائف. (2020). *إسرائيل: خلفيّة أيديولوجيّة وتاريخيّة*. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

زعرور، حسن. (2019). *ناطوري كارتا.. اليهودية في مواجهة الصهيونية*. تم الاسترداد من https://2u.pw/5OVpu

زيدان، باسل. (2014). *المعجم الجامع* (الإصدار 1، المجلدات 1-9). (ي. جبر، و. أبو صالح، ح. الجبالي، أ. حامد، م، المحرر) فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.

سعيد ،سلسبيل. (2017). ناطوري كارتا الدور والتأثير على المشروع الصهيوني. *أوراق سياسية*.

السماك ،محمد. (1993). *الصهيونية المسيحية*. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

السومرية نيوز. (2023). *الحاخام موشيه هيرش.. ياسر عرفات عيَّنه مستشاراً له ورفض تأسيس دولة إسرائيل*. تم الاسترداد من https://2u.pw/6VDgI

شاحاك، و ميزفينيسكي. (2004). *الأصولية اليهودية في إسرائيل*. (ناصر عفيفي، المترجمون) القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

الشامي، رشاد. (1994). *القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

شميش، باري. (1998). *سقوط إسرائيل*. (عمار جولاق ومحمد العابد، المترجمون) عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

صقر ،م ي. (2018). *مفهوم الاستراتيجية – The Concept of Strategy*. الموسوعة السياسيّة. تم الاسترداد من https://political-encyclopedia.org/dictionary/مفهوم الاستراتيجية

ظاظا ،حسن. (1971). *الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

علي، عمار. (2024). *موجز تاريخ الصهيونية ورد على بعض أكاذيب الصهاينة*. بغداد.

عمرو، يونس. (2023). *جبل صهيون في القدس، الاسم أصله ومعناه*. تم الاسترداد من https://www.raya.ps/articles/1151415.html

غارودي، روجيه. (1990). *إسرائيل بين اليهودية والصهيونية*. (حسين حيدر، المترجمون) بيروت: دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع.

الكتاب المقدس. (1992). *العهد القديم والعهد الجديد: الترجمة العربية المشتركة*. جمعية الكتاب المقدس.

الكعبير، ه. ف. (2013). *الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام*. (رسالة ماجستير). كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط.

كوهين، إسرائيل. (د.ت). *هذه هي الصهيونية*. (لجنة الثقافة والنشر بهيئة التحرير بالقاهرة، المترجمون) مصر: دار المعارف.

لاندو ،ديفيد. (1994). *الأصولية اليهودية*. (مجدي عبد الكريم، المترجمون) القاهرة: مكتبة مدبولي.

ماضي، ع م. (1999). *الدين والسياسة في إسرائيل*. القاهرة: مكتبة مدبولي.

محمود، أمين. (2020). *المؤسس الحقيقي للصهيونية السياسية*. تم الاسترداد من الرابط https://2u.pw/pqFlZ

المدني ،م.ن. (2007). *يهود ضد الصهيونية*. دمشق: الدار الحديثة.

مرصد الأزهر لمكافحة التطرف. (2023). *سلسلة الصهيونية*. تم الاسترداد من https://2u.pw/9VLhl

المرعشي، فيصل. (2017). *اقتراب الجماعة – Group Theory - Group Approach*. الموسوعة السياسيّة. تم الاسترداد من https://political-encyclopedia.org/dictionary/اقتراب الجماعة

المركز الفلسطيني للإعلام .(2007) .*مفكرو الصهيونية وروادها الأوائل* . Retrieved from https://2u.pw/0I4j8

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية. (د.ت). *موسوعة المصطلحات*. تم الاسترداد من https://2u.pw/dwySV

المسيري، عبد الوهاب. (2003). *مقدمه لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي*. دمشق: دار الفكر.

المسيري، عبد الوهاب. (2022). *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة* (الإصدار 2، المجلد 9). القاهرة: دار الشروق.

مصطفى، ابراهيم ، و أحمد الزيات. (2004). *المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية* (الإصدار 4). القاهرة، مصر: دار الشروق الدولية.

مناحيم ، و تلمي افرايم. (1988). *معجم المصطلحات الصهيونية*. (احمد العجرمي، المترجمون) عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية.

المنشاوي، محمد. (2006). *المفاهيم الأساسية للمسيحية الصهيونية*. تم الاسترداد من الرابطhttps://2u.pw/fWgMc

مهدي، عبير. (2012). الفكر السياسي لجماعة ناطوري كارتا. *مجلة الدراسات الفلسطينية، 15*، 213-236.

موقع TRT بالعربي .(2023) .*يهود ضد الصهيونية.. تعرّف أبرز الجماعات اليهودية التي تناصر الفلسطينيين*. Retrieved from https://2u.pw/HU5pg .

موقع الجزيرة نت .(2012) .*الإعلان عن مسيرة عالمية إلى القدس* . Retrieved from https://2u.pw/AD6Wb

موقع الجزيرة نت. (2023). *حركة "ناطوري كارتا".. يهود مناهضون للصهيونية وضد قيام دولة إسرائيل*. تم الاسترداد من https://2u.pw/FeKwG

ناؤور، مردخاي. (1996). *الصهيونية في مائة عام*. (ع. ز. خليل، المترجمون)

نصار ،نجيب. (2022). *الصهيونية: ملخص تاريخها، غايتها وامتدادها حتى سنة١٩٠٥م.* رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية.

الهام ،ناصر. (2022). *المعارضة السياسيّة. Political Opposition.* الموسوعة السياسية. تم الاسترداد من https://political-encyclopedia.org/dictionary/المعارضة السياسيّة

هيمان، ايمانويل. (2011). *الأصولية اليهودية. (ترجمة سعد الطويل).* القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Baram, D. (2010). *Rabbi Moshe Hirsch: Ultra-Orthodox Jewish Leader Who Became An Adviser To Yasser Arafat.* Retrieved From Https://2u.Pw/6emaeck

Bard, M. (2025). *The Pro-Israel & Pro-Arab Lobbies.* Retrieved From Https://2u.Pw/Hxlw3

Berdichevsky, S. (2023). *We're Palestinian Jews.* The Jerusalem Post. Retrieved From Https://2u.Pw/Itlzn

Blau, A. (1963). *Who I'm I.* Retrieved From Https://2u.Pw/X8eek

Feldman, Y. (2004). *Zionism Is The Root Problem Presented.* Retrieved From Https://2u.Pw/A4lkw

Garaudy, R. (1998). *Palestine Terre Des Messages Divins.* Paris: Albatros.

Garaudy, R. (2019). *Les Mythesfondateurs De La Politique Israélienne& Le Procès Du Sionismeisraélien.* Franc: Omnia Veritas Ltd.

Herzl, T. (1896). *Der Judenstaat.Versucheinermodernenloesung Der Judenfrage.* Leipzig Und Wien:M.Breitenstein's.

Hirsch, M. (2005). Leader Of Nature Karta. Personal Meeting.

Horwath, R. (2020). *What Is Strategy?* Strategic Thinking Institute. Retrieved From Https://2u.Pw/K1wgfj

Jewish Telegraphic Agency (JTA). (1978). Aharonkatzenellenbogen. Retrieved From Https://2u.Pw/Aemfw

Lamm, N. (1971). THE IDEOLOGY OF THE NETUREI KARTA. *Journal Of Orthodox Jewish Thought, 12*(2).

Newman, J. (2025). *Jews For Justice For Palestinians Is Concerned For Justice For Them—And Us! Without Justice For Palestinians, There Is No Hope For Israel.* Retrieved From Https://2u.Pw/Ipg2p

Odenheimer, M. (2011). *We Do Notbelieve. We Will Not.* Retrieved From Https://2u.Pw/2Qrhj

Official Website Of IJAN. (2014). *WHO WE ARE.* Retrieved From Https://Ijan.Org/Who-We-Are/

Official Website Of Neturei Karta. (N.D). Retrieved From Nkusa.Org

Official Website Of Neturei Karta. (N.D). *What Is Your Position On The Palestinian People.* Retrieved From Https://Nkusa.Org/Qa/Faq

Pappe, I. (2011). *THE ETHNIC CLEANSING OF PALESTINE.* Oxford, Oneworld Publications.

Sampter, J. E. (2006). *A Guide To Zionism.* U.S.A:The University Of Michigan.

Shah, S. (2021). *Neturei Karta. Critical Dictionary Of Apocalyptic And Millenarian Movements.* Retrieved From Https://Www.Cdamm.Org/Articles/Neturei-Karta

Shavi, U. (2023). *Enemy Of The State. (An Interview With Rabbi Israel Meir Hirsch).* Retrieved From Https://2u.Pw/FZ6XV

Weiss, D. (2025, 3). Speaker Of Nature Karta In Newyourk. Personal Meeting.

Yeshiva World News (YWN). (2021). *Neturei Karta Leader Moshe Ber Beck Dies In Monsey*. Retrieved From Https://2u.Pw/Iempn

ثالثا: الأسفار

سفر التكوين ، 1:1

سفر يشوع، 1:9

سفر الخروج ، 2:20

سفر التثنية ، 5:6

سفر أشعياء ، 5:53

سفر هوشع ، 6:4

سفر زكريا ، 9:9

سفر أرميا ، 11:29

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

STRATEGIES EMPLOYED BY ANTI-ZIONIST JEWISH GROUPS IN OPPOSING THE ZIONIST PROJECT: A CASE STUDY OF NETUREI KARTA

By
Basem Ghaith

Supervisor
Dr. Abdul Rahim Shubaki

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Planning and Political Development, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2025

STRATEGIES EMPLOYED BY ANTI-ZIONIST JEWISH GROUPS IN OPPOSING THE ZIONIST PROJECT: A CASE STUDY OF NETUREI KARTA

By
Basem Ghaith
Supervisor
Dr. Abdul Rahim Shubaki

Abstract

This study investigates the strategies of anti-Zionist Jewish groups, focusing on the "Neturei Karta" as a case study, to elucidate the historical context and multifaceted nature of the relationship between Zionism and its Jewish opponents. It analyzes the most prominent of these groups from the inception of political Zionism to the present, explores the potential implications arising from this dynamic, and traces the evolution of these groups throughout the subsequent phases of the Zionist project's development.

This study seeks to identify the principal religious and cultural contexts that shaped the anti-Zionist position of the Neturei Karta group, as well as the factors that contributed to the success of Zionism in advancing its objectives and the shortcomings of its opposition. Furthermore, it underscores the significance of the religious dimension and examines how it has been employed by both sides through diverse and often contradictory interpretations, each serving its respective ideas, projects, and goals.

Certainly, all of this is situated within an objective framework, as the study aimed to provide practical recommendations to relevant stakeholders for restoring Palestinian and Arab rights and for capitalizing on circumstances that, according to the study, have not been effectively utilized over the past decades.

In the course of this academic study, historical, analytical, case study, and foresight methodologies were employed. Additionally, tools such as interviews, descriptive analysis, and content analysis were utilized in accordance with scientific methodology and the essential principles of objectivity, thereby enhancing the study's credibility and reliability.

It is concluded that the rigid interpretation of religious texts by the Neturei Karta group, coupled with their unwavering refusal to compromise, constitutes a fundamental basis

of their ideological principles. Furthermore, the various strategies employed by the group to achieve their objective of dismantling the Zionist project—including organizing demonstrations and protests, participating in conferences and events opposing Zionism and Israeli state policies, conducting solidarity visits, publishing books and pamphlets, and issuing media statements—have proven insufficient.

This phenomenon can be attributed to the prevailing international context, which continues to regard this project—and its most prominent embodiment, the Israeli state—as a matter of high strategic importance. Consequently, substantial political, economic, and military resources are mobilized to support it, alongside the presence of lobby groups that influence public opinion by exerting control over critical sectors of economic, media, and cultural life.

It is important to acknowledge the deficiencies in the efforts of countries opposing Zionism to effectively utilize the presence of the Neturei Karta group or other organizations that resist the Zionist project, or even to provide them with support comparable to that which Zionism receives from its sponsoring and allied states.

It is also imperative to acknowledge the harassment, persecution, arrests, home raids, and defamation experienced by the group at the hands of state authorities within the Israeli entity, as well as in locations where the group is present globally.

This study concludes with findings and recommendations that urge the Neturei Karta group to reevaluate its strategies and to develop these alternatives in order to effectively address the influence of the Zionist project and its proponents.

Furthermore, it is important for the Palestinian leadership and the governments of countries opposing the Zionist project and recognizing Palestinian rights to deliberate on strategies for engaging with the Neturei Karta group. Given that a substantial portion of its members reside in the occupied city of Jerusalem and that it constitutes a segment of the Jewish community, leveraging this group's position could serve to reinforce the Palestinian stance and expand its strategic options in confronting the occupying power and its supporting states.

Keywords: Neturei Karta, anti-Zionism, Jewish opposition, Zionism, religious interpretation, political strategy